الفصل الثالث

ترفه وملاهيه

١ – أحوال الوليد العامة والخاصة

لعل من الخطأ فى بحث ترف الوليد وملاهيه إغفالَ تيار التطور الحضارى الذى شاع فى البيئات المدنية الأموية ، وفشا فيها ، وإهمال الوضع الاجتماعى للطبقة العليا التى كان الوليد ينتمى إليها ، وما أصابت فى حياتها من النعيم والبذخ ، كما أن من الخطأ الإعراض عن ظروفه الخاصة وما صاحب نشأته فى قصر أبيه من دلالٍ وزينةٍ وفرحة ونشوة ، وما تمتع به فى مستهل ولايته للعهد من رغد العيش ، وما فطر عليه من مَرَحِ المزاج ، وما تَعَمَّقه من الشعور بالاضطهاد والظلم فى نهاية ولايته للعهد ، لطول تضييق هشام عليه ، ومحاصرته له ، وافتنانه فى محاربته والنكاية به ، وما هيَّأله قيامه بالخلافة من استقلالٍ وحرية فى التَّصَرُّف ، وما انتابه بعد أن ملك أمره ، ولم يَعُد لأحد سلطان عليه من إحساسٍ بقدرته على تعويض ما فاته من مباهج الحياة .

فنسيانُ هذه الأوضاع والملابسات أو التقليلُ من شأنها وأهميتها ، مع عدم الالتفات إلى دور الرواة والإخباريين المُتَعصِّبين فى تضخيم ترفه وملاهيه تؤدى إلى الجهل بالدوافع القوية التى حملته على الإسراف فى طلب الملذات ، والمغالاة فى الاستمتاع بالمسرات ، وتُفْضى إلى التَّعَسُّف فى الحكم عليه ، والتقصير عن إدراك ما شارك فيه غيره من الخلفاء والأمراء من ألوان الترف واللهو ، وما تفوق فيه عليهم ، وَتَبيُّنها ومراعاتُها والأخذُ بها ، مع نَقْدِ الأخبار وتَمْحيصها وتَدْقيقها تُمكِّن من استظهار آثارها فى ترفه وملاهيه ، وتتيح الفرصة لدراستها فى سياقها الحضارى التاريخى ، وفى إطارها الاجتماعى الذاتى درساً صحيحاً ، كما تُعدُّ لرسم حدودها ومظاهرها وصورها رسماً دقيقاً .

فقد ارتقت حياة العرب فى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق ارتقاءً تدريجياً خلال القرن الأول[1] ، بحيث لم يبدأ القرن الثانى حتى بلغ ارتقاؤهم أَوْجَهُ ، وتحضروا فى أنحاء حياتهم تَحَضُّراً شاملاً . وتميز خلفاؤهم وأمراؤهم وأشرافهم وأثرياؤهم وأولو اليسار منهم بالتَّأنُّق فى قصورهم ودورهم ومساكنهم وحدائقهم وبساتينهم ومراكبهم ومآكلهم ومطاعمهم ومشاربهم وملابسهم وزينتهم وعطورهم وطبائعهم وأذواقهم . وتَحَرَّر عامة الناس وخاصتهم فى معازفهم ومقاصفهم تحرراً يتفاوت من بيئةٍ إلى أخرى تفاوتاً يعود إلى العوامل السكانية والاقتصادية والثقافية والسياسية التى تأثرت بها كل بيئة من بيئاتهم .

(١) العصر الإسلامى ، للدكتور شوقى ضيف ص : ١٩٣ .

فى مدن الحجاز[٢] أقبل الناس على أسباب الترف ، وعكفوا على وسائل اللهو عكُوفاً مَوْصُولاً ، بجانب اهتمامهم بالحياة الدينية ، واشتغالهم بالعلوم الإسلامية[٣] وتطورت حياتهم المادية والاجتماعية لاختلاطهم بالموالى ، وتكدُّس أموال الفتوح فى حجورهم ، وقيام الرقيق الفارسى وغير الفارسى بخدمتهم ، ولعزلتهم السياسية ، ومنع الأمويين لهم من المشاركة فى السياسة بعد معارضة عبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبى بكر ، والحسين بن على . وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير لمعاوية ، ورفضهم المبايعة لابنه يزيد بولاية العهد[٤] ومخالفة ابن الزبير ليزيد بن معاوية ، وخروجه على عبد الملك بن مروان ومقتله ، فتهافت أهل المدينة ومكة على الترف واللهو ، وأباح لهم فقهاؤهم سماع الغناء ، ففتنوا به ، وانهمكوا فيه .

وفى الكوفة انْصَبَّتْ أجناس بشرية كثيرة عربية وفارسية ونبطية[٥] وهى أجناس كان لها معتقداتها وثقافاتها وتطلعاتها ومطامحها المختلفة . فلم تنسجم ولم تلتحم فى مجتمعها ، بل تصارعت وتصادمت ، فَتَوَلَّدَ عن تصارعها وتصادمها موجة من التحرر والإباحة . وقمع عمال الأمويين أهل الكوفة قمعا عنيفا لميولهم الشيعية ، وانتفاضاتهم التى لم تنقطع على امتداد العصر الأموى[٦] ، كما نكلوا بمن تَمرَّدَ عليهم من سادة أهل الكوفة وأشرافها ، كعبد الرحمن بن الأشعث الكندى ، وساموه وساموا من أيَّده أشد العقاب[٧] فأحس أهل الكوفة بالاضطهاد وضاقت الحياة بهم ، فتعلقوا بالمتعة واللذة تَعَلُّقاً قوياً ، هَرباً من واقعهم المرير ، وما فيه من كَبْتٍ وإرهابٍ ، وانتهوا إلى ضَرْبٍ من التَّصَدع الاجتماعى ، والانحلال الخلقى ، تفردوا به من سائر البيئات الأموية تَفَرُّداً واضحاً[٨] .

وجَنَحَ العرب والموالى من الفرس والهنود والأقارقة فى البصرة إلى السلم ، لِعَمَلِهِمْ فى التجارة والزراعة ، ورغبتهم فى تنمية مواردهم ، وتَثْمِير أموالهم . ومع أن القبائل العربية فى البصرة كانت موزعة بين حِلْفَيْن كانت قبائل كل منهما تتسابق فى السيادة والسلطان ، إذ كانت بكر والأزد وعبد القيس فى حلف ، وتميم وقيس فى حلف آخر[٩] فإن تضارب مواقفها ومصالحها السياسية لم

---

(٢) العصر الإسلامى ص : ١٣٩ ، وحديث الأربعاء ١ : ١٨٨ .

(٣) فجر الإسلام ص : ١٧١ .

(٤) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٣ ، ٣٢٣ .

(٥) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٢١٤ .

(٦) حياة الشعر فى الكوفة ص : ١٢٣ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٦٢ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٤ .

(٨) حركات الشيعة المتطرفين ص : ١٠ .

(٩) نقائض جرير والفرزدق ١ : ١١٢ ، وأنساب الأشراف ٤ : ٩٧ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٥١٦ .

يُضْعِفْ نزعتها إلى الاستقرار ، ولم يَحُلْ دون استمرارها ورسوخها ، فقد كان زعماء تلك القبائل يعرفون فوائد السلام ، ويأخذون أنفسهم وقبائلهم بمبدأ الْمُواطنةِ ، ويَسْعَونَ إلى تقويته ، لأنهم كانوا يرون أَنَّهُ أَجْدى من الروابط الدموية التى تجمع بين عشائر القبيلة الواحدة المتناثرة فى الأمصار المتباعدة ، إذ يؤثر عن الأحنف بن قيس سيد تميم أنه قال للأزد بعد قتل رئيسهم عمرو بن مسعود ، واتهام تميم بقتله ، واشتعال الحرب بين القبيلتين : « يا معشر الأزد ، أنتم جِيرانُنا فى الدَّار . . . ولأنتم أحب إلينا من تميمِ الكوفة »[١٠] .

وظل البصريون ينشدون الأمن ، ويميلون إلى الحياد ، رَغْمَ هَواهُم الأموى[١١] ، حتى قيل عنهم : « وأما البصرة فعثمانية تَدِينُ بالكَفِّ ، وتقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل »[١٢] وكان ظهور فرقة المرجئة فى بلدهم تعبيراً عن نزوعهم إلى السلم[١٣] ونفورهم من التورط فى السياسة ، حتى لا يُمْنَعوا من التَّفَرُّغ لحياتهم المادية ، ولا تَتَعطَّل مرافقهم الاقتصادية فازدهرت تجارتهم وزراعتهم واستقرت حياتهم ، فأثروا وتَحَضَّروا وتَنَعَّموا[١٤] .

ولم يكن حَظُّ دمشق من التحضر أقل من حظ غيرها من البيئات السابقة ، فهى وريثة الحضارة البيزنطية والغسانية ، وقد غدت بعد غلبة معاوية ونهوضه بالحكم حاضرة الدولة ، فسالت عليها الأموال ، وكانت تزخر بالأمراء والأشراف من بنى أمية ، فأغرقوا فى النعيم ، وكان كل شىء حولهم يؤهلهم له ، فتنعموا بحياة مترفة غاية فى الترف ، وعاشوا فى قصور باذخة ، وأحاطوا أنفسهم بكل ما يستطيعون من مظاهر الفخامة[١٥] وحذا حذوهم أكثر من استظلوا بهم ، وعملوا لهم ، وشاركوهم فى تَنَعُّمهم ، وجاراهم الأغنياء والموسرون من أهل دمشق .

فموجة التحضر والترف واللهو أخذت تنتشر انتشاراً سريعاً فى المجتمعات المدنية الأموية ، وكان لكل مجتمع منها أوضاعه وظروفه وكان فيه من الدوافع ما يُغْرى أهله بالتحضر والترف واللهو .

وقد تَنَامى ترف الخلفاء الأمويين على توالى عهودهم وتراميها ، وتَطَوَّر من البساطة والسذاجة إلى الاعتدال والتوسُّط ، ثم بَلَغ حد الغلو والإفراط . فقد كان معاوية قليل العناية بملابسة وعطوره ،

---

(١٠) أنساب الأشراف ٤ : ٩٩ .

(١١) الجاحظ فى البصرة ص : ٢٦٤ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٨٢ ، والعصر الإسلامى ص : ١٥٩ .

(١٢) عيون الأخبار ١ : ٢٠٤ .

(١٣) الفرق الإسلامية فى الشعر الأموى ص : ٢٦٣ .

(١٤) التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية فى البصرة ص : ٢٢٣ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٧٨ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٧٥ .

(١٥) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص : ٤٨ .

لأنه كان منهمكاً فى تأسيس قواعد ملكه ، فكان يلبس القميص مراراً ، ويُغْسَلُ له غَسَلاتٍ . وكان لا يَمَسُّ الطيبَ مادام يَجِدُ عَبَق الطِّيب فى ثيابه[١٦] . وكان إذا تَأَمَّل بعض ما اصطنع من مظاهر الزينة يراجع نفسه ويلومها ، موازناً بين حاله وحال من سبقه من الخلفاء الراشدين ، ومردداً : رحم الله أبا بكر لم يُرد الدنيا ولم تُرِدْهُ ، وأما عمر فأرادَتْهُ الدنيا ولم يُرِدْها ، وأما عثمان فأصاب من الدنيا وأصابت منه ، وأما نحن فتمرغنا فيها »[١٧] .

وسار يزيد بن معاوية أشواطاً فى الترف واللهو ، فقد نشأ فى بادية تَدْمُر بين أخواله الكلبيين نشأة أقرب إلى حياة فتيان العرب ، فَتَعَلَّم الفروسية والصيد ، وأحب الغناء وانغمس فى الشراب والبهجة انغماساً شديداً أخذه عليه زعماء العلويين كالحسين بن على[١٨] وَعَابَهُ به بعض الأمويين كزياد بن أبى سفيان ، فيما تصوره الروايات الشيعية ، إذ كتب زيادٌ إلى معاوية حين أمره بالدعوة لبيعة يزيد : « ما يقول الناس إنْ دَعَوْنَا إلى بيعة يزيد وهو يَلْعَبُ بالكلاب والقرود . وَيَلْبَسُ الْمصَبَّغ ، ويُدْمِنُ الشراب ، ويَمْشى على الدفوف ! »[١٩] ويقال إنه كان يحتفل بأناقته احتفالاً عظيماً ، فكان يلبس القميص لبسة واحدة إلاّ أن يكون الثوب نادراً مُعْجِباً غريباً[٢٠] .

ولكن معاوية بن يزيد خالف أخلاق أبيه . وانْتَقَدَ سلوكه الشخصى والرسمى ، لِتَشَبُّهِهِ بعمر بن الخطاب ، وتَأَسِّيه به فى عَدْله وتَقَشُّفِه[٢١] .

وأمضى عبد الملك بن مروان نِصْفَ خلافته فى تَثْبِيتِ عَرْشه ، ومُقارعة المتمردين عليه ، والمنازعين له فى الحكم من الشيعة والخوارج والزبيريين ، حتى إذا كسر شوكتهم اعتنى بتوطيد أركان الدولة ، وبِحَلِّ مشاكلها المالية والسياسية . وهو من أبناء المدينة موطن التراث الإسلامى ، فيها وُلِدَ وَشَبَّ وبها تَعَلَّم ، ولم يغادرها إلّا قبل أن تأتيه الخلافة بوقت قصير ، وكان فى صباه عابداً ناسكاً يجالس الفقهاء والعلماء ، ويحفظ عنهم ، وكان من أشد شباب المدينة اجتهاداً ، وأطلبهم للعلم ، فروى عن عثمان بن عفان ، وسمع من أبى هريرة ، وأبى سعيد الخُدْرى ، وجابر بن عبد الله ، وغيرهم من أصحاب رسول الله[٢٢] وإن كان تَغَيَّر بَعْضَ التَّغَيُّر بعد أن قام بالخلافة ، فإنه لم يفارق

---

(١٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٥ .

(١٧) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٤ .

(١٨) الإمامة والسياسة ١ : ١٨١ .

(١٩) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ .

(٢٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٤ .

(٢١) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٤ .

(٢٢) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٤ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣١ .

أخلاقه الإسلامية ، وكان فى مشاغله السياسية والعسكرية والإدارية ما استَنْفَد أكثر وقته وعمره ، فلم يَفرُغ للترف واللهو إلاَّ نادراً ، واقتصد فى التَّنعُّم اقتصاداً بعيدا[٢٣] .

وَخَلَفَهُ ابنه الوليد ، وقد رسخ حكم بنى أمية ، ودانت لهم الأمصار ، وتَجَدَّدت حركة الفتوح وانتعشت انتعاشاً قَوياً[٢٤] فانهالت عليه الأموال من المشرق والمغرب ،وجاءته حمول الذهب والفضة من خراسان والأندلس[٢٥] وكان يَجِدُ لَذَّته فى العمران ، فكان صاحب بناء واتخاذ للمصانع والضياع ، وكان الناس يلتقون فى زمانه فإنما يسأل بعضهم بعضاً عن البناء والمصانع[٢٦] وفى تشييده الجامع الأموى بدمشق ، وتزيينه له بالرخام والفسيفساء والزجاج الملون[٢٧] وفى توسيعه المسجد النبوى بالمدينة ، وزخرفته له بالفسيفساء زخرفةً بديعة[٢٨] ما يشهد على شغفه بالبناء .

وهو بِحَقٍّ أولُ من اهتم بمظاهر الأُبَّهة والعَظمة فى حياته الخاصة ، بحيث يُعَدُّ أكبر من فتح للخلفاء المروانيين باب الترف ، لما امتاز به عهده من الاستقرار والازدهار . وكان عماله يعرفون ذوقه المرهف ، ورغبته فى اقتناء طرائف التحف والأثاث ، وامتلاك الجوارى والخدم ممن فيهم رقة . فحملوا إليه أنفس الدر والياقوت والزبرجد والوشى والوصائف والوصفاء[٢٩] ويبدو أنه تَنَعَّم فى كل جوانب حياته تنعماً بالغاً ، حتى ليروى أنه كان يَتَوضَّأ فى طُشْتٍ من الذهب[٣٠] .

وَوَلِىَ بعده أخوه سليمان ، وكان فيه نَهَمٌ وحب للمتاع والمأكل والملبس ، إذ يوصف بأنه صاحبُ نكاحٍ وطعامٍ . وسرت طبائعه وعاداته واهتماماته فى رعيته ، فكان الناس فى خلافته إنما يسأل بعضهم بعضاً عن التزويج والجوارى[٣١] وكان بعض ولاته من خاصته يعلمون تَفَنُّنَه وتصَابِيه وولعه بالملابس الجميلة الرائقة[٣٢] فأهداه يزيد بن المهلب الثياب الحريرية المزركشة السوسية ، فكان يلبسها فى مركز قيادته العسكرى بدابق ، ويعجب بها ويستخفه الطرب ، فيحسر عن ذراعيه . ويقول : أنا

---

(٢٣) التاج فى أخلاق الملوك حى : ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٢٩ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٣ ، ٤٩٢ ، ٥٠٠ .

(٢٥) الإمامة والسياسه ٢ : ٧٢ ، ٨٣ .

(٢٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٢٧) الحيوان ١ : ٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ .

(٢٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣٦ .

(٢٩) الإمامة والسياسة ٢ : ٨٤ .

(٣٠) الإمامة والسياسة ٢ : ٧٢ .

(٣١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٣٢) مروج الذهب ٣ : ١٨٦ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٧٧ .

الملك الفَتِىُّ[٣٣] وفى أخباره أنه «كان يلبس الثياب الرقاق ، وثياب الوشى . وكان لا يَدْخُلُ عليه رجلٌ من أهله إلاَّ فى الوشى ، وكذلك عماله وأصحابه ومن فى داره وكان لِباسَهُ فى ركوبه وجلوسه على المنبر .

وكان لا يدخل عليه أَحَدٌ من خُدَّامه إلاَّ فى الوشى ، حتى الطَّبَّاخُ فإنه كان يدخل إليه فى صدْرِه وشى وعلى رأسه طويلة وشىٍ ، وأَمَر أنْ يُكفَّن فى الوشى »[٣٤] .

ويورد صاحب الإمامة والسياسة خبراً طريفاً يكشف عما أغرق فيه سليمان من البذخ ، حتى كأنما غدت حياته نعيماً صافياً لا فى قَصْرِه[٣٥] ومقره الحربى ، بل أيضاً فى حَجِّه ، إذ يقول : «حج سليمان ابن عبد الملك سنة ثمان وتسعين ، فلما انتهى إلى عقبة عُسْفان نظر إلى السرادقات قد ضُرِبَتْ له بين أحمر وأخضر وأصفر ، وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاثة سرادقات ، فكانت تُضْرَبُ له ، وكان الذى منها للناس من خَزٍّ أخضر ، والذى يليه من خَزٍّ أصفر ، ثم الذى يكون هو فيه من خَزٍّ أحمر مُحَبَّرٍ من حَبَراتِ اليمن مُزَرَّر بالذهب والفضة وفى داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خَزٍّ أحمر ، مرافقها من وشى أصفر ، وضُرِبَتْ حُجُبُ نسائه من وراء فسطاطه ، وحُجَّرُ بَنِيهِ وكُتَّابِهِ وحَشَمِهِ قربِ ذلك »[٣٦] .

وهكذا بالغ سُليمان بن عبد الملك فى التَّنعُّمِ مبالغةً ملحوظة استمرت تتزايد وتَتَعَقَّد . وكان عمر ابن عبد العزيز مترفاً فى حياته قبل استخلافه مُتَمَيِّزًا بكثرة تَطَيُّبِه[٣٧] ولا يُمَثِّلُ زهده إلا تَوَقُّفاً محدوداً فى تيار الترف والبذخ الذى ماجت به حياة الخلفاء الذين سبقوه ، أو لحقوا به ، وإذا كان عزف عن أسباب البهجة ، وأقنع الناس بالانصراف عنها ، حتى كانوا يلتقون فيقول الرجل للرجل : ما وِرْدُك الليلة ؟ وكم تحفظ من القرآن ؟ ومتى تختم ؟ ومتى ختمت ؟ ومتى تصوم الشهر ؟[٣٨] فإن يزيد بن عبد الملك أخذ نصيبه من زينة الحياة ، فبنى القصور الرائعة ، وفُتِنَ باللهو ، وكان له ذوق مترف ، فاعتنى بعطوره وثيابه عناية زائدة ، إذ كان يتطيب كل يوم[٣٩] وكان لا يرتدى القميص إلاَّ مرة

---

(٣٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٧ ، وفوات الوفيات ١ : ٣٦١ .

(٣٤) مروج الذهب ٣ : ١٨٤ ، وانظر البداية والنهاية ٩ : ١٨١ .

(٣٥) البداية والنهاية ٩ : ١٧٧ .

(٣٦) الإمامة والسياسة ٢ : ١٠٤ .

(٣٧) الأغانى ٩ : ٢٦٢ .

(٣٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

(٣٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٥ .

واحدة[٤٠] وكان يشترى الثوب بخمسمائة دينار ، وألف دينار[٤١] ويقال إنه ابتاع حلة بخمسة آلاف دينار[٤٢] .

وعلى ما يُضَافُ إلى يزيد بن عبد الملك من الإيغال فى الترف ، والغلو فى البحث عن المسرات والمباهج ، فإن أخاه هشاماً فاقه فى تَقصِّيها والتنقيب عنها ، ولكن يزيد جهر بترفه وأظهره ، ثم ضَخَّم الرواة أخباره وهَوَّلُوها ، أما هشام فَتَستَّرَ على ترفه ، وأعفاه تستره من انتقاد العلماء والفقهاء له ، وعصمه من تنديد الخاصة والعامة به ، إذ ابتعد عن دمشق ، وسكن الرصافة ، وأقام بها قصرين زخرفها بماء الذهب ، وأثَّثها بفاخر الرياش ، وحر المتاع ، وقد وصف حماد الراوية أحد قصريه حين وفد عليه ، وما رأى فيه من مظاهر النعمة والزينة فقال : «وَافَيْتُ باب هشام ، فاستأذنت ، فأذن لى ، فدخلت عليه فى دارٍ قوراء مفروشة بالرخام ، وهو فى مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراء ، وعليه ثياب خَزٍّ حمر ، وقد تَضَمَّخَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسكٌ مَفْتوتٌ فى أوانى ذهبٍ يُقَلِّبُهُ بيده ، فَتَفُوحُ رَوَائِحُه »[٤٣] .

وكان عماله يقدمون له الهدايا الثمينة من الياقوت والدُّرِّ المُصَادَر ، وفى ذلك يقول المدائنى مصوراً قبوله الهدايا النفيسة ، وما كان يأخذ به نفسه فى مجالسه من النعيم : «قال قَحْذَم كاتب يوسف : بعثنى يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كَفِّى ، وحَبَّةِ لؤلؤ أعظم ما يكون من الحَبِّ ، فدخلت عليه ، فدنوت منه ، فلم أَرَ وَجْهَهُ من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبة ، فقال : اكتب معك بوزنهما ، قلت : يا أمير المؤمنين ، هما أجل من أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت . وكانت الياقوتة لرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار »[٤٤] .

ويقول صاحب الإمامة والسياسة كاشفاً عن ترفه وإفراطه فى أناقته : كان قد حُبِّبَ إلى هشام

---

(٤٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٤ .

(٤١) البيان والتبيين ٢ : ١٠٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى : ص : ١٨٠ ، ٣٧٦ ، والعقد الفريد ٤ : ١٤٧ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٨٠ :

(٤٣) الأغانى ٦ : ٧٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٨ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٨ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٢٩ .

(٤٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٢٤١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٢ .

التكاثر من الدنيا ، والاستمتاع بالكساء ، لم يَلْبَسْ ثَوْبا قط ، فعاد إليه ، حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يَسْتَقِلُّ بها ولا يَحْمِلُها إلاَّ سبعمائة بعير من أَجْلَدِ ما يكون من الإبل ، وأعظم ما يُحْمَلُ عليه من الجمال ، وكان مع ذلك يَتَقَلَّلها »(٤٥).

ويروى الأصمعى عن أبى الزناد أحد الفقهاء المقربين إلى هشام أنه أُحْصِيَ فى خزائن هشام بعد موته اثنا عشر ألف قميص(٤٦).

وكانت مُخَبَّآتُ هشام فى بَوَادى الرصافة تُمَاثِلُ بَذَخَ قصره فى الرصافة ، وفى وصفها يقول صاحب الإمامة والسياسة : «خرج هشام مُتَبَدِّياً فى قرابته وأهله وحشمه وحاشيته إلى بعض بوادى الرصافة ، فنزل بقاعٍ صَحْصَحٍ ، فَضُرِبَتْ له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالفضة والذهب ، وضُرِبَ له فسطاطه فى وسطه ، فيه أربعة أفرشة من خَزٍّ أحمر ، مثلها مَرافقها ، وعليه دُرَّاعة خَزٍّ أحمر ، وعمامة مثلها ، وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه ، وعنده أشراف قريش ، وقد ضُرِبَت حُجَرُ بَنِيه وكُتَّابِه وحَشَمِه بقرب فسطاطه »(٤٧).

ويقول القلقشندى مُوَضِّحاً إغراب هشام فى الزينة ، وحرصه على التَّمَيُّز فيها من الخلفاء السابقين ، ورغبته فى أن تكون ثيابه وفرش مجالسه وستائرها نادرة فى أشكالها وألوانها ، قد ابْتُدِعَتْ له ، وصُمِّمَتْ من أجله تصميماً جديداً فريداً ، ليس له نظير : «كان لهشام من السُّتُور والكسوة والطِّراز ما لم يكن لمن قبله من الخلفاء »(٤٨). وورث الخلفاء العباسيون بعض سرادقاته وفرشه العجيبة ، وفيها يقول مالك بن أنس : «دخلت على أبى جعفر المنصور فى السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدُّرِّ الأبيض ، والياقوت الأحمر ، والزمرد الأخضر. وكان من فرش هشام بن عبد الملك ، أهداه إليه صاحب القسطنطينية ، لا يُعْلَمُ ثَمَنُهُ ، ولا يُدْرَى ما قِيمَتُه »(٤٩).

ذلك تَنَعُّم هشام وبذخه . ولكنه كان يُقَتِّرُ على إخوته(٥٠) ومواليه(٥١) والفَعَلة الذين كانوا يعملون فى ضياعه ومزارعه(٥٢) ، كما كان يُشْرِفُ على أمور الدولة إشرافاً دقيقاً ، مما يَتَّفِقُ الإخباريون والمؤرخون عليه ، إذ يقول المدائنى : «لم يكن أحد من بنى مروان أشد نظراً فى أمر أصحابه

(٤٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٠ .
(٤٦) البداية والنهاية ٩ : ٢٥٣ .
(٤٧) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٥٤ .
(٤٨) مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥١ .
(٤٩) الإمامة والسياسة ٢ : ١٧٣ .
(٥٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٤ .
(٥١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٤ .
(٥٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ .

ودواوينه ، ولا أشدَّ مبالغة فى الفحص عنهم من هشام »[٥٣] ، ويقول المسعودى : «كان هشام حسن الجانب ، شَكِسَ الأخلاق ، دقيق النظر ، جامعاً للأموال قليل البذل للنوال ، متيقظا فى سلطانه ، سائساً لرعيته ، مباشراً للأمور بنفسه ، لا يغيب عنه شىء من أمر مملكته »[٥٤] ، ويقول ابن كثير : «كان هشام فى خلافته حازم الرأى ، جماعاً للأموال ، يَبْخَلُ بها ، وكان ذكياً مدبراً له بَصَرٌ بالأمور جليلها وحقيرها ، وكان فيه حلم وأناة »[٥٥] . ويروى المدائنى عن جعفر بن سليمان عن عبد الله ابن على أنه قال : « جمعت دواوين بنى مروان ، فلم أَرَ ديواناً أصح ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان هشام »[٥٦] ، ويذكر المدائنى والهيثم بن عدى وغيرهما «أن السَّوَّاسَ من بنى أمية ثلاثة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، خُتِمَتْ به أبواب السياسة ، وحسن السيرة ، وأن المنصور كان فى أكثر أموره وتدبيره وسياسته مُتَّبِعاً لهشام فى أفعاله لكثرةِ ماكَشَفَهُ من أخبارِ هشام وسِيَرِه »[٥٧].

فهشام فى حياته الرسمية العامة غيره فى حياته الذاتية الخاصة ، والفرق بين الحياتين عظيم ! فهو رجل سياسى ماهر لجلاله وحَزْمِه ، وتَنَبُّهه وتَيَقُّظِهِ وتدبيره وتقديره ومحافظته على أموال الدولة ، ولكنه فى شئونه الشخصية كان يسعى إلى تحقيق البهجة والمسرة لنفسه ، ويجهد للإحساس بالأُبَّهة والعظمة فى مجالسه ، فكان ينفق من أمواله للوقوع على طرائف الأثاث وعجائب الثياب ، لِيَجد فيها لَذَّته وفرحته ، ويرضى نزعاته ورغباته ، وكان لا يريد لأحد أن يشاركه فى غناه ووجاهته ، أو أن يُشَابِهَهُ فى ترفه ، فكان يحسد الناس ، ويَتَمَنَّى أن يَصِيَر ما بأيديهم له[٥٨] !

فترف الخلفاء الأمويين كان عادياً بسيطاً فى مطلع حكمهم ، ثم تصاعد فى أواخر القرن الأول لعهد الوليد بن عبد الملك ، وأَخَوَيْه سليمانِ ويزيد ، ولم يزل يتصاعد وَيَتَّسع حتى غدا سمةً من سماتِ التَّحضُّر والرُّقىِّ ، ثم تَعقَّد أشد التَّعقيد فى أيام هشام ، فبلغ أقصى درجاته واستحال آيةً من آيات الضخامة والجلال والتميز من الآخرين .

وطبيعى أن نشأة الوليد فى الفترة التى تنامى فيها التَّحضُّر وتَعَقَّد ، ومعاصرته لأعلى ما وصل إليه النعيم والبذخ فى مجتمعه وفى قصور بنى أمية يستتبعان أن يكون ترفه مماثلاً لترف الفترة التى عاش فيها ،

---

(٥٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٥٤) التنبيه والإشراف ص : ٢٧٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٧ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٨ .

(٥٥) البداية والنهاية ٩ : ٣٥١ .

(٥٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٥٧) مروج الذهب ٣ : ٢٢٣ .

(٥٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٥ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٠ .

ومشاكلاً لترف الطبقة الشريفة الثرية الحاكمة التى ينتسب إليها . وكان كل شىء فى حياته الخاصة يغريه بالترف ، ويدفعه إلى الإيغال فيه ، فقد رَبَى فى أحضان أمه الثقفية ، وجَدَّته السفيانية ، وكانتا تُسْبغان عليه كل ما تستطيعان من العناية والدلال ، وتحوطانه بكل ما تقدران عليه من العطف والحنان ، لأنه كان أكبر إخوته لأبيه وأمه ، وكان بعد أن شَبَّ جميلَ المنظر ، حَسَنَ الصورة ، إذ كان رَبْعَةَ القَدِّ ، وسيطَ القامة ، أبيضَ اللون ، مُشْرَباً حُمْرَةً[٥٩] ، وَضَّاءَ الوَجْه ، سَاجِرَ المُحَيَّا ، مُتَفَرِّداً فى وَسَامته[٦٠] ، مما كان يَرُوعُ أمه وجَدَّته وَيفْتُنُها به ، ويَزِيدُ من رعايتهما له ، وَحَدَبهما عليه . ونَشَأَ فى قصر أبيه على الدَّعة والسَّعَة[٦١] ، ورأى أباه مُغْرماً بالمسرة من كل نوع ، وقضى قسما كبيراً من صباه فارغاً لاهياً متقلباً فى حياة رغيدة سعيدة ، وغارقاً فى رؤى وأحلامٍ من النعمة والبهجة ، ثم جفاه عمه هشام ، وتَنَكَّر له فى السنوات الأخيرة من خلافته ، ومضى يتحامل عليه ، ويَعْنُفُ به ، حتى نَفَاه أو اضطره إلى أن يَنْفىَ نفسه ، ويَنْتَبِذَ بالأزرق جنوبى عمان من الأردن ، ومنع عنه أسباب العيش[٦٢] ، فَتَعَسَّرت حياته ، وكاد يختنق من الأسى والحزن ، والشعور بالضيم والهوان[٦٣] ، فَوخَط الشيب رأسه وهو فى ريعان الشباب[٦٤] . ثم صفا له الجو ، وأصبح صاحب الأمرِ والنَّهْى ، فانقشعت عنه المعاناة والآلام التى كانت تطبق عليه ، وانزاحت عنه الهُموم والغُموم التى كانت تُبَرِّحُ به ، وتُعَكِّرُ عليه صفو حياته ، فعكف على الترف ، وكلف بالنعيم ، وأسرف فى اللهو ، لِيُعَوِّضَ ما افتقده من ألوان المسرة والمتعة ، ويَمْحُوَ من نفسه كل أثر من آثار الاضطهاد والحرمان ، فاختار لقصوره ومجالسه أَرْقَى الفُرُشِ وأفخرها ، ولنفسه أجود الثياب وأجملها ، وأطيبَ العطور والبخور وأغلاها ، وأَنْدَرَ الخواتم والعقود وأَغْرَبها . وما أكثر ما يروى عن ترفه فى مجالسه وملابسه ، إذ يقول حماد الراوية يصف بذخَ دارٍ له وفد عليه بها : « قدمت على الوليد بن يزيد . . . فدخلت عليه وهو فى بيت مُنَجَّدٍ بالأرمنى أرضه وحيطانه »[٦٥] . ويقول خالد صامة المغنى يصور أحد مجالسه : « قدمت

---

(٥٩) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٤ و ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٦٠) الأغانى ٧ : ١٨ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ .

(٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ .

(٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ .

(٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٢ .

(٦٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨٤ و ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٦٥) الأغانى ٦ : ٩٢ .

على الوليد فدخلت إليه وهو فى مجلس ناهيك به»[٦٦]. ويقول مروان بن أبى حفصة يتحدث عما رأى من فرشه الوثيرة : «دخلت على الوليد بن يزيد . . . وهو فى فُرُشٍ قد غاب فيها»[٦٧]. ويقول حكم الوادى المغنى يعبر عن دهشته مما أبصر من ملابسه ونعاله الحريرية الرقيقة المزركشة وعقوده الثمينة الرائعة : «أدخلنى عمر الوادى على الوليد بن يزيد . فخرج يوماً إلينا ، وعليه جُبَّةُ وشى ، ورداءُ وشىٍ ، وخُفُّ وشىٍ ، وفى يده عِقْدُ جَوْهرٍ»[٦٨]. ويقول حماد الراوية يصف أُسِرَّته الناعمة ، وثيابه المزركشة ، وما تعبق به من الطيب : «أتيت الوليد فاستأذنت عليه ، فَأُذِنَ فإذا هو على سريرٍ مُمَهَّدٍ ، وعليه ثوبان أصفران إزارٌ ورِدَاءٌ يقيئانِ الزعفران قَيْئاً»[٦٩]. ويقول أَحَدُ حُرَّاسه يصور وصائفه وترف ثيابه : «كنت فى حرس الوليد وهو فى معسكره فى البخراء ، فلم أشعر به إلا وقد خرج بين وَصَائِفَ كالدُّمَى ، عليه قُباءُ وَشْىٍ ، وسراويلُ وَشْىٍ . وهو معتجر بمعجر»[٧٠]. ويقول عُطَرِّدُ المغنى عَاجِباً من زينته : «غنيت الوليد بن يزيد ، فوالله ما أتممت حتى شَقَّ حُلَّةَ وَشْىٍ كانت عليه ، لا أدرى كم ثمنها ، ثم غنيته فَشَقَّ حُلَّةَ وَشْىٍ كانت تَلْتَمِعُ عليه بالذهب الْتِمَاعاً»[٧١]. ويقول المدائنى يصور إحْدَى قلانسه النادرة : «غنى أبو كامل الوليد بن يزيد ذات يوم فطرب ، وخَلَعَ عليه قلنسية وَشْىٍ مُذَهَّبَةً كانت على رأسه»[٧٢]. ويقول معبد المغنى يصف ما شاهد من بَرْكِ قصوره وملابسه وعطوره وبخوره : «غَنَّيْتُ الوليد صوتاً طَلَبَهُ ، فرفع الستر ، ونَزَع مُلاءةً مُطَّيبةٍ كانت عليه ، وقذف نفسه فى البركة التى بينى وبينه ، ثم أُتِىَ بأثواب غيرها ، وتَلَقَّوْهُ بالمجامِرِ والطِّيب»[٧٣].

وكان يَتَزَيَّنُ بالخواتم والعقود البديعة ، فكان يضع فى يده عقود الجوهر[٧٤] ، ويَلْبَس خواتم الياقوت ، وفى ذلك يقول عمر الوادى المغنى : «خرج الوليد بن يزيد يوماً وفى يده خاتم ياقوت أحمر قد كاد البيت يَلْتَمِعُ من شُعاعه»[٧٥]. ويبالغ العباسيون فى تصوير ولعه بالجوهر مبالغة واضحة ، إذ

---

(٦٦) الأغانى ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٣ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢١ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٩٥ .

(٦٧) الأغانى ٦ : ٧١ ، ١٦ : ١٧ .

(٦٨) الأغانى ٦ : ٢٨١ ، ١٣ : ٢٧٨ .

(٦٩) الأغانى ٢ : ٢١٠ ، ٦ : ٧٨ .

(٧٠) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة ٢٦ و ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ . والقباء : نوع من الثياب ، والمعتجر : المعتم . والمعجر : ثوب من ثياب اليمن .

(٧١) الأغانى ٣ : ٣٠٨ .

(٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والأغانى ٧ : ٩١ .

(٧٣) الأغانى ١ : ٥٢ .

(٧٤) الأغانى ٦ : ٢١٨ ، ١٣ : ٢٧٨ .

(٧٥) الأغانى ٧ : ٨٨ ، ٨٩ .

يقول عبد الصمد بن موسى الهاشمى : «إنما أَغْلَى الجوهر بنو أمية . ولقد كان الوليد بن يزيد يلبس منه العقود ، ويُغَيِّرها فى اليوم مراراً كما تُغَيَّر الثياب شَغَفاً ، فكان يَجْمَعُهُ من كلِّ وَجْه ويُغَالى به »[٧٦] .

فَتَنَعُّمُ الوليد لا يفوق تَنَعُّمَ غيره من الخلفاء الأمويين الذين أغرقوا فى البذخ ، بل ربما كان تَتَرُّفُ عَمَّيْهِ سليمان وهشام فى مجالسها وملابسها أَعْظَمَ من تَتَرُّفه بكثير . وكل ما يفترق فيه عنهما أنه تَحَلَّى بالقلانس والعقود والخواتم ، لظروف نشأته الخاصة فى أسرته ، وما أحسه معها من الدلال الزائد ، وما تَوَلَّدَ فى نفسه من التَّفَتِّى والتَّصابى الشديد .

٢ – الوليد والمغنون والمضحكون

كان الغناء أحب ألوان الملاهى إلى الوليد ، فاعْتَنَى بِجَمْعِ أعلامه ، وبَحَثَ عن أدواته ، واستغرق جزءاً كبيراً من أيامه فى الاستماع إليه ، والاستمتاع به ، دفعه إلى ذلك ازدهار الغناء فى المجتمعات الأموية المدنية ، وإقبال الناس والخلفاء عليه إقبالاً مطردًا ، وأغرته به ظروف حياته الخاصة .

وكان أهل المدينة ومكة هم الذين احتفلوا بالغناء ، وتقدموا فى الاهتمام به أهل الأمصار الأخرى – لِرُقيهِّم وَتَحَضُّرهم وثرائهم وفراغهم[٧٧] . وتحليل فقهائهم له[٧٨] . فنهض لهم الرقيق الأجنبى الفارسى والرومى بتطويره وصَقْلِهِ حتى اكتمل ونما ، فانغمسوا فيه وأغرم به أتقياؤهم وعلماؤهم وقُرَّاؤهم وقضاتهم وعُبَّادهم وزُهَّادهم وأشرافهم ومتوسطو المال والمتواضعون منهم[٧٩] .

وانتقل نَفَرٌ من المُقَيِّنين والمغنين من الحجاز إلى العراق[٨٠] ، وأنشأوا فيه بعض دور الغناء ولم تزل الدور تتزايد ، والنوادى تتعدد ، حتى ذاع الغناء فيه . وكثر رُوَّاد بيوته وزُوَّارها ، وعَمَّ تَرَدُّد الناس عليها ، وتَبَطُّلُهم بها[٨١] ووفد كثيرٌ من مُغَنِّى الحجاز إلى الشام ، وغَنَّوا الخلفاء والأمراء الأمويين ،

---

(٧٦) الأغانى ٧ : ٥٩ .

(٧٧) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعهد بنى أمية ص : ٥٠ ، ٢٢٥ .

(٧٨) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٢٩ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ١٨٩ .

(٧٩) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ٤ : ٣٣٠ ، ٦ : ٢١ ، ٨ : ٣٣٤ ، ١٤ : ١٢١ ، ١٥ : ١٤٠ ، ١٨ : ٣٤١ ، والكامل للمبرد ٢ : ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ورسائل الجاحظ ٢ : ١٥٩ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٧ ، والعقد الفريد ٦ : ١١ ، ١٦ ، وذيل زهر الآداب ص : ٤٠ ، ٤٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ١٩٦ ، ٢٢٧ .

(٨٠) الأغانى ١١ : ٣٦٤ .

(٨١) اتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١١٤ .

ورَفَّهوا عنهم . ولا يبدأ القرن الثانى حتى تَغْلِب محبَّةُ الغناء على عِلْيَةِ الناس وعامتهم بالشام[٨٢] .

وبذلك أصبح الغناء فى مدن الحجاز والعراق والشام من أبرز الملاهى ، وأوسعها انتشاراً ، وأشدها استقطاباً لطلاب المتعة والمسرة ، مما لفت أنظار الفقهاء إليه ، وجعلهم يحددون موقفهم منه ، أما فقهاء الحجاز فأجازوا سماعه ورخصوا به ، وأما فقهاء العراق فعارضوه وحرَّموه[٨٣] . وأما فقهاء الشام فيبدو أنهم حَلَّلوه وسوَّغوه لأن كبارهم والمشهورين منهم كانوا من المدينة ومكة ، ولأن خلفاء بنى أمية كانوا مُتَّصلين بالمدينتين اتصالاً وثيقاً ، وكانوا يأخذون بآراء الفقهاء فيهما . وقد عرض الجاحظ[٨٤] ، وابن عبد ربه[٨٥] ، والنويرى[٨٦] ، لقضية الغناء بإسهاب ، وساقوا حُجَجِ الفقهاء المؤيدين لسماعه ، والمانعين له ، وجزم الجاحظ بإباحته لأنه لا وَجْه لتحريمه ولا أصل لذلك فى كتاب الله تعالى ولا سنة نبيه عليه السلام »[٨٧] .

وقد تعاظم إقبال الخلفاء الأمويين على الغناء مع الأيام ، واشْتَدَّ كلفهم به حين ثَبَت حكمهم ، وصَفَتْ حياتهم ، وكثُرَتْ ثرواتُهم ، ورَقَّتْ أذواقُهم فقد كان معاوية مزوراً عن الغناء ، كارهاً له ، لاثماً لمن يعكف عليه ، ويَجْهَرُ به . ويروى أنه كان ينكر على عبد الله بن جعفر انهماكه فى الغناء ، واشتهاره به ، حتى أسْمَعَهُ عبد الله غناء بعض مُغَنِّيه كَبُدَيحٍ وسائب خاثر فانفعل به ، واسْتَحْسَنَهُ[٨٨] . أما ابنه يزيد فأولع بالغناء ولعاً قوياً ، انْتَقَصَهُ به أعداؤه[٨٩] .

ومع أن عبد الملك بن مروان ولد بالمدينة ، وأدرك ازدهار الغناء بها ، وكان له حِسٌّ فنىٌّ رفيع ، فإنه لم يشغف بالغناء ، لِوَرَعِهِ وتدَيُّنِهِ وعِظَم مسئولياته ، وفى أخباره أنه كان يكافح الغناء[٩٠] ، وأنه كان يقول عن نفسه لستُ صاحَب هَزْل »[٩١] . وظل عازفاً عن الغناء ، مناهضاً للمغنين إلى أن غَنَّاه ابن مِسْجح المكى ، وكان أمر بمصادرة أمواله والقبض عليه ، وتسييره إليه بدمشق ، فاهْتَز طرباً ،

---

(٨٢) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٨٣) العقد الفريد ٦ : ٦ ، ١٠ .

(٨٤) رسائل الجاحظ ٢ : ١٥٨ – ١٦١ .

(٨٥) العقد الفريد ٦ : ٣ – ٨١ .

(٨٦) نهاية الأرب ٤ : ١٣٣ – ١٦٧ .

(٨٧) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦١ .

(٨٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٣٧ ، والعقد الفريد ٦ : ١٨ .

(٨٩) الإمامة والسياسة ١ : ١٨١ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٤٩ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٤ .

(٩٠) العقد الفريد ٦ : ٥٥ .

(٩١) الأغانى ١٥ : ١٧٤ .

وأَمَّنَهُ وَوَصَلَهُ ، وكتب إلى عامله بِرَدِّ ماله عليه ، وألَّا يعرض له بسوء ، وعَذَر فتيان قريش فى إنفاق أموالهم على الغناء[٩٢] . واستمع لِبُدَيْح مولى عبد الله بن جعفر ، وسُرَّ به ، واستطرف نوادره[٩٣] .

ولمَّا ذاع الغناء فى المدينة ومكة ، وانغمس فيه أهلها ، وترامت أخبار مُغَنِّيهم إلى دمشق ، أخذ التالون من الخلفاء الأمويين يألفون الغناء ، ويَتَقَبَّلونه ويستمعون إليه ، أثناء حَجِّهم ، كما أخذوا يستدعون بعض المغنين إلى دمشق . فى أخبار الوليد بن عبد الملك أنه قَدِمَ مكة ، وأراد أن يأتى الطائف ، فصحبه عمر بن أبى ربيعة والغريض المكى ، فَغَنَّاه الغَرِيضُ فى بعض الطريق صوتاً من شعر عمر الغزلى ، فاستطاب الوليد غناءه ، ووصله عليه وكساه وقضى حوائجه[٩٤] . ويقال : إنه فُتِنَ بما نقل إليه من روعة غناء ابن سُرَيْج المكى . وكثرة أدبه ، وجودة اختياره ، وظرف لسانه ، وحلاوة مجلسه ، فكتب إلى عامل مكة أن يُشْخِصَه إليه ، فأشخصه فغناه بشعر الأحوص ، وعدى بن الرقاع فى مديحه ، فأعجب بغنائه ، وأشار إلى بعض الخدم فَغَطَّوْهُ بالخِلَع ، ووضعوا بين يديه كيساً من الدنانير ، وبِدراً من الدراهم[٩٥] .

وتَتَضَاربُ الأخبار فى موقف سليمان بن عبد الملك من الغناء والفكاهة ، إذ منها ما يفيد أنه كان مُتَحاشِياً ، شديد الوَطْأة عليهم ، فخَصَى مُغَنِّياً أصغت إليه إحدى جواريه[٩٦] . ويروى ابن كثير أنه هَمَّ بِخَصْيِ المغنين جميعاً ، فقال له عمر بن عبد العزيز : إنها مُثْلَةٌ ، ولكن انفهم فنفاهم[٩٧] . ويضيف أبو الفرج أنَّ انصراف جارية سليمان عنه ، وإنصاتها إلى صوت المُغَنِّى فى معسكره هَاجَه ، فسأل عن أصل الغناء ، فقيل له : إنه بالمدينة ، فكتب إلى عامله عليها محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى أن يَخْصِيَ المغنين المخنثين بها ، فخصاهم[٩٨] . وفى بعض الروايات أنه كتب إليه أن يُحْصِيَهُمْ ، فَصَحَّفَ القارئ ، فتتبع ابن حزم المغنين فَخَصَى منهم تسعة[٩٩] .

ويظهر أنَّ كل ما ينسب إليه من تَعَقُّبٍ للمغنين وأمر بِنَفْيهم أو خَصْيِهم ، أو إحصائهم مصدره غَيْرَتُهُ على جواريه ، واستياؤه من هيام المَدَنِيات منهن بالغناء ، وظَنُّه أنهن كُنَّ يَخُنَّه ويَبْذُلْنَ أنفسهن للمغنين فى معسكره ، فقد كان يَسْتَظْرِفُ المغنين والمضحكين ويَسْتَمْلِحُ غناءهم ونوادرهم . ويرسل فى

(٩٢) الأغانى ٣ : ٢٨٢ .
(٩٣) الأغانى ١٥ : ١٧٥ .
(٩٤) الأغانى ٢ : ٣٩٥ .
(٩٥) الأغانى ١ : ٢٩٧ ، ٩ : ٣١٥ .
(٩٦) العقد الفريد ٦ : ٢٤ ، ٥٠ ، والأغانى ٤ : ٢٧٣ ، ٢٧٥ .
(٩٧) البداية والنهاية ٩ : ١٨٠ .
(٩٨) الأغانى ٤ : ٢٧٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ١٨٠ .
(٩٩) الأغانى ٤ : ٢٧٤ .

طلبهم ليُرَفِّهوا عنه . ولكنه كان يَتَستَّرُ على مجالس أنسه ولهوه ، ويخفى عن الناس أخبارها ، ويَتكتم على استضافته لمشاهير المغنين والمُضْحِكين . فى أخباره أنه كان معجباً بالدَّلاَّل ظريف المدينة ومُغَنِّيها ، فَوَجَّه إليه أحد مواليه ، وقال له : جِئْنى به سرًّا ، وحَذَّره أن يعلم بذلك أحد ، فَنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أمره به . وأمره بالكتمان ، وحَذَّره أن يَقِف على مقصده أحد ، ففعل وخرج به إلى الشام فلما قدم أنزله المولى منزله ، وأعلم سليمان بمكانه ، فدَعا به ليلاً ، وسأله أن يُغَنِّيه فى بعض شعر العرجى الغزلى ، فَغَنَّاه ، فاستَجاد غناءه وظرفه ، وأمر له بِصلةٍ سَنِيَّةٍ . وأقام عنده شهراً ، ثم سَرَّحه إلى الحجاز مكرماً[١٠٠] . بل إن فى أخباره ما يشير إلى أنه كان يقيم الحفلات للمغنين بالمدينة ، ويفاضل بينهم ، ويكافئ المبدع المتفوق منهم ، إذ يروى أنه قدم المدينة ، فجمع المغنين ، وسَبَّق بينهم بِبَدرةٍ ، وقال : أيكم كان أحْسَنَ غناءً فهى له . فاجتمعوا ، وبلغ الخبر ابن سريج ، فجاء وقد أغلق الباب ، ولم يأذن له الحاجب بالدخول ، ولكنه سمح له أن يغنى من شقٍّ الباب . فسكت حتى فرغ جميع المغنين من الغناء ، ثم اندفع فغنى ، فلما فرغ قال سليمان : هذا والله أحسن منكم غناء ، وأمر أحد غلمانه أن يعطيه البدرة[١٠١] .

وكان عمر بن عبد العزيز يلحن ويغنى أثناء ولايته للحجاز[١٠٢] . ويقول أبو الفرج أنه أوَّلُ مَنْ دُوِّنَتْ له صنعة من الخلفاء الأمويين ، فإنه ذُكِرَ عنه أنه صنع فى أيام إمارته على الحجاز سبعَة ألحان يذكر سعاد فيها كلها[١٠٣] . كما كانت له صلة قوية بمغنى الحجاز ، ولا وجه لإنكار ألحانه وأغانيه ، «لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجة أكثر من الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيدتهم أخبار رويت»[١٠٤] . فلما قام بالخلافة عَفَّ عن الغناء وتَنَسَّك ، وطارَدَ الشعراء الغزلين فى الحجاز ، واستتاب بعضهم ، وحبس غيرهم[١٠٥] .

ومَرَّ بنا أن يزيد بن عبد الملك اشتهر بطلبه للغناء ، وحبه للمغنين ، خلال نزوله بالمدينة ، أو زيارته لها ، وأنه سُحِرَ بحبابة وسلامة ، واشتراهما وأكبَّ على سماع الغناء بعد أن استقر له الأمر ، متستراً عليه حيناً ، ومجاهراً به حيناً آخر . ويقال إنه وَضَعَ لحناً لبيتين من الشعر ينسبان إليه قالها فى

---

(١٠٠) الأغانى ٤ : ٢٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٩ .

(١٠١) الأغانى ٧ : ٦٣ .

(١٠٢) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦٠ .

(١٠٣) الأغانى ٩ : ٢٥٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٠٠ . وانظر الألحان السبعة فى الأغانى ٩ : ٢٧٢ .

(١٠٤) الأغانى ٩ : ٢٥١ .

(١٠٥) الأغانى ٩ : ٦٤ .

حبابة لما تعلَّقها ، ولم يقدر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان ، فغناه فيها معبد ، وأخذت حبابة اللحن عنه ، وكانت تُغنِّى يزيد فيه(١٠٦) .

وتتباين الأخبار فى موقف هشام من المغنين والمضحكين ، إذ منها ما يدل على مكافحته للغناء مكافحة صارمة محافظة على وقاره وجلاله(١٠٧) . وكانت نفسه تنازعه فى استيفاد بعض الملهين من المدينة ، ولكنه كان يحجم مخافة الفضيحة ، إذ يروى أنه هم باستدعاء أشعب من المدينة حين رويت له بعض نوادره ومُلَحِه ، وكتب بحمله إليه ، ثم ألْقَى الكتاب خشية أن يتحدث الناس بأنه أشخص من مدينة الرسول مضحكاً ليلهو به(١٠٨) ! ولم يطل تَرَدُّده وإحجامه وتَصَوُّنه فإنه لم يلبث أن تحول عنها ، وأخذ يلتقى بالمغنين والملهين ، ويستمع إلى غنائهم ودعاباتهم ، ويلاطفهم ويُجيزُهم ، فقد حج ، فوقف له حنين الحبرى بظهر الكوفة . ومعه عُودُه وزامِرٌ له ، فلما مَرَّ به عرض له ، فسأل عنه ، فقيل له : إنه حنين ، فأمر فحمل فى مَحْملٍ على جمل وعَدِيله زامِرُه ، وسيَر به أمامه ، وهوَ يَتَغَنَّى بشعر رقيق للأحوص فى النسيب ، فلم يزل يستعيده ، ثم أمر له بمائتى دينار ، وللزامر بمائة(١٠٩) . ويُرْوَى أنه حجَّ فَغَنَّى ابن عائشة فى الموسم ، فَحَبَس الناس ، واضطربت المحامل ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة تقع ، فأُتِى به هشامٌ ، فَقَرَّعه ثم أَمْسك عنه وضاحكه ومازحه(١١٠) . ويروى المدائنى أن أبا البيضاء سهيل بن أبيض(١١١) كان من مضحكى المدينة ، فكان هشام يستعذب حديثه وشعره(١١٢) .

ويتفوق الوليد بن يزيد على الخلفاء الأمويين السابقين فى كلفه بالغناء والفكاهة ، كلفاً ساعدت عليه عوامل عامة وخاصة ، فقد عايش الوليد ازدهار الغناء وانتشاره فى كافة الأمصار ، ورأى شَغَفَ الناس به ، وتهافت أغنيائهم وفقرائهم وعلمائهم وبسطائهم عليه ، وعاصر شيوع الغناء بدمشق ،

---

(١٠٦) الأغانى ٩ : ٢٧٤ .

(١٠٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ ٥ ، الورقة ١٩ و .

(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٤٥ تاريخ ، جـ ٥ ، الورقة ١٩ و ، وشذرات الذهب ١ : ١١٥ .

(١٠٩) الأغانى ٢ : ٣٤٢ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٤ .

(١١٠) الأغانى ٢٠ : ٣٦٠ .

(١١١) فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ «سهيل بن أبيض أبو البيضاء» . وفى الطبقات الكبرى ١ : ٢٠٤ ، ٣ : ١٤٨ ، ٦٢٣ ، ٤ : ٢١٣ «سهيل بن بيضاء من بنى الحارث بن فهر» . وفى الأغانى ٢٣ : ٢٤٦ «سهيل أبو البيضاء ، مولى زينب بنت الحكم بن العاصى» .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ .

وانغماس خلفاء بنى أمية وأمرائهم فيه ، وشاهد مجاراة رعيتهم لهم فى التهالك عليه دون مبالاة أو اكتراث[١١٣] ، حتى لقد هَالَهُ صَنيعُهم بعد نهوضه بالحكم ، فانبرى ينصح أبناء أسرته ، ويُبَصِّرهم بعواقب إدمان سماع الغناء ، ويحذرهم من مشاركة نسائهم لهم فى حضور مجالسه ، لما ينجم عنها من مشاكل خلقية واجتماعية ، وينهاهم عن ذلك نَهْياً قويًّا إذ يقول : « يا بنى أميَّة ، إياكم والغناء ، فإنه يَنْقُصُ الحياء ، ويزيد فى الشهوة ، ويَهْدِمُ المروءة ، ويُنَوِّر على الخمر ، ويفعل ما يفعل السكر . فإن كنتم لابُدَّ فاعلين ، فَجَنِّبُوه النساء ، فإن الغناء رُقْيَةُ الزنا . وإنى لأقول ذلك فيه على أنه أحب إلى من كل لذة ، وأشهى إلىّ من الماء البارد إلى ذى الغُلَّة ، ولكن الحق أحق أن يقال »[١١٤] .

ومع أنه يُقِرُّ فى عظته لهم بحبه للغناء ، وقلة صبره عنه ، فإن الذهبى[١١٥] ، وابن كثير[١١٦] نَسَبا العِظَة إلى ابن عمه يزيد بن الوليد ، ولكى يستقيم لهما نحل العظة ليزيد بن الوليد المعروف بالورع والزهد ، فإنهما حذفا منها الفقرة التى أعلن فيها الوليد شغفه بالغناء !

وتأثر فى صغره بأبيه ، إذ كان يشهد الحفلات التى كان يحييها المغنون والمغنيات فى قصوره بدمشق والمُوقَّر جنوبى عمان من الأردن ، فكان يرى تحرر أبيه وانطلاقه ، ومعاشرته للمغنين واختلاطه بهم ، وممازحته لهم ، وطربه بغنائهم[١١٧] ، مما نَمَّى فى نفسه حب الغناء والمرح ، وزَيَّنه له ، إذ تَشَرَّب أخلاق أبيه ، وزاد عليه فى المرح واللهو ، حتى أصبح الإقبال على المسرات جزءاً من فلسفته فى الحياة ، إذ كان يعتقد أنَّ من حَقِّه أن يفوز بنصيبه من مباهج الدنيا ومعازفها مادام ينى للناس بواجباتهم ، ويشملهم بخيره ومعروفه ، ومادام إقباله على الغناء وغيره من الملاهى لا يضرهم ولا يمنعهم من القيام بأمورهم[١١٨] . وكان يسعى إلى أن يحيا حياة طبيعية بسيطة خالية من الآلام والأوهام لا يحس فيها بانكسارٍ أو اغترارٍ بل يجبى المال جباية من يعيش الأبد ، ويصرفه فى حقه صرف من يموت الغد[١١٩] .

وكان لقسوة هشامٍ عليه ، وعَنَتِهِ به فى آخر ولايته للعهد دور كبير فى إكبابه على الغناء وإيغاله فى

---

(١١٣) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(١١٤) الأغانى ٧ : ٧٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(١١٥) تاريخ الإسلام ٥ : ١٨٩ .

(١١٦) البداية والنهاية ١٠ : ١٦ .

(١١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١١٨) زهر الآداب ص : ٩٠٤ .

(١١٩) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة ١١١ ظ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

اللهو ، إيغالاً كان يتوخى منه الترويح عن نفسه ، والترفيه عنها ، وكان يبتغى به إغاظة خصومه ومعاندتهم . وهو يصرح فى بعض شعره أنه إنما أغرق فى طلب الغناء ، وجَهَرَ به وأعْلَنَهُ مكايدةً لأعدائه وتحديًا لهم ، وأنه فاز بحظه من متع الحياة رغماً عنهم ، إذ يقول[١٢٠] :

ولقد قَضَيْتُ وإنْ تَجَلَّلَ لِمَّتى ... شَيْبٌ على رَغْمِ العِدَا لذَّاتى
من كاعباتٍ كالدُّمَى ومناصِفٍ ... ومراكبٍ للصَّيْدِ والنَّشَواتِ
فى فتيةٍ تأبَى الهوان وجُوهُهُمْ ... شُمُّ الأنوفِ جَحاجحٍ سادات[١٢١]
إن يَطْلُبوا بِتراتهم يُعْطَوْنها ... أو يُطلَبُوا لا يُدْرَكُوا بِترات[١٢٢]

فجعلت منه هذه الظروف العامة والخاصة أكبر من أغرم بالغناء والفكاهة من الخلفاء الأمويين ، وأشهر من أجاد التلحين والعزف منهم ، إذ كان يُؤلِّفُ الألحان لبعض قصائده[١٢٣] ، وكان يضرب على العود ، ويُوقِّع على الطبل ، ويمشى بالدف على مذهب أهل الحجاز[١٢٤] . وكان خبيراً بآلات العزف ، مُمَيِّزاً للعربى والفارسى منها . عارفاً لطاقاتها وإمكاناتها الموسيقية . مهتماً بالبرابط والطنابير الخراسانية[١٢٥] ، والعراقية[١٢٦] ، مجتهداً فى التنقيب عنها ، راغباً فى الحصول عليها .

ومن أوائل المغنين المكيين الذين التقى الوليد بهم ، وسمع لهم ، وأخذ عنهم ، وهو ولى عهد يحيى مولى العَبلات ، المعروف بفيل . وقد عرفه الوليد مصادفة ، إذ كان معجباً بغناء ابْن سريج مغنى مكة الذى نال شهرة مدوية فى الحجاز والشام ، ومات فى مستهل خلافة هشام[١٢٧] . فلما قدم مكة فى موسم الحج سنة ست عشرة ومائة ، سأل عن أحسن الناس غناءً وحكاية لابن سريج ، فقيل له : فيل . فدعاه ، وقال له : امشِ لى بالدف ، ففعل ثم أخذه الوليد منه ، ومشى به ، وطلب إليه أن

---

(١٢٠) أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٩ ، والأغانى ٧ : ١٢ .
(١٢١) الجَحْجَح : السيد السمح الكريم .
(١٢٢) الترة : الثأر .
(١٢٣) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .
(١٢٤) الأغانى ٩ : ٢٧٤ .
(١٢٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٧٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ الورقة ١٧ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٤ .
(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ .
(١٢٧) الأغانى ١ : ٢٤٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٤٩ .

يُقَوِّمه ، فمشى به أحسن مِنْ مِشْيَة فيل[١٢٨] .

ومنهم الأبجر[١٢٩] . ويقال : إنه لم يكن بمكة أحدٌ أظرَف ولا أسرَى ولا أحسن هيئة منه ، وإنه كان عذب الغناء ساحره ، فكان يقف بالمأزِمَيْن[١٣٠] فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا[١٣١] ! سمع الوليد به أثناء حَجِّه ، فاستخفه غناؤه ، فحمله معه إلى دمشق ، واتصلت ملازمته لَهُ حتى قتل[١٣٢] .

ويصف أبو الفرج احتفاء الوليد به ، واصطحابه إلى دمشق فيقول : « أخبرنى على بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة عن إسحاق ، قال : جلس الأبجر فى ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التَّنْعِيم[١٣٣] فإذا عسكر جرَّارٌ قد أقبل فى آخر الليل وفيه دوابُّ تُجَنَّبُ ، وفيها فرس أدهم عليه سَرْج حليته ذهبٌ ، فاندفع فغنى :

عَرَفْتُ ديارَ الحيِّ خاليةَ قفرَا كأنَّ بها لمَّا تَوَهَّمْتُها سَطْرَا

فلما سمعه من فى القباب والمحامل أمسكوا ، وصاح صائح : ويحك ! أعد الصوت ، فقال : لا والله ! إلا بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار . فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل ، فنُودِىَ : أين منزلك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلى على باب زقاق الخَزَّازين ، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتخت من ثياب وشى وغير ذلك ، ثم أتى به الوليد ، فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشية التروية[١٣٤] وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام »[١٣٥] .

فالخبر يساق بأسلوب قصصى ممتع فيه الخفاء والغموض والتشويق والمبالغة والتَّضْخِين مما قد يشير إلى افتتان أبى الفرج أو شيوخه من كتاب العباسيين كعلى بن عبد العزيز فى صياغته . وابن خرداذبة الذى أخذ الخبر عنه على بن عبد العزيز ، كان غير مُدَقِّق فيما ينقل من أخبار الغناء فى الإسلام ، وقد انتقده أبو الفرج انتقاداً شديداً ، وَنَصَّ عَلى تَصرُّفه فى الأخبار ، واختراعه لبعضها ، وخاصة حين رآه

---

(١٢٨) الأغانى ٩ : ٢٧٥ .

(١٢٩) الأغانى ٣ : ٣٤٤ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٧ .

(١٣٠) المأزمين : موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة .

(١٣١) الأغانى ٣ : ٣٤٥ .

(١٣٢) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

(١٣٣) التنعيم : موضع بمكة بينها وبين سَرِف .

(١٣٤) التروية : اليوم الثامن من ذى الحجة .

(١٣٥) الأغانى ٣ : ٣٤٦ .

ينسب إلى عمر بن الخطاب أنه غنّى ، إذ يقول : «إن المنسوب إلى الخلفاء من الأغانى ، والملصق بهم منها لا أصل لِجُلِّهِ ولا حقيقة لأكثره ، لاسيما ما حكاه ابن خرداذبة ، فإنه بدأ بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فذكر أنه تَغَنَّى . . . ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لابد منه ولا معدل عنه ، يخبط خَبْط العشواء ، ويَجْمَعُ جَمْع حاطب الليل »[١٣٦] . ويقول منددًا به لما روى من أخبار معبد الموضوعة : «ذكر ابن خرداذبة أنه غنّى فى أول دولة بنى أمية ، وأدرك دولة بنى العباس . وابن خرداذبة قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه . والصحيح أن معبداً مات فى أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . فأما إدراكه دولة بنى العباس فلم يروه أحد سوى ابن خرداذبة ولا قاله ولا رواه عن أحد ، وإنما جاء به مجازفة »[١٣٧] .

وأغلب ما أورده أبو الفرج من أخبار معاشرة الأبجر للوليد فيه شىء كثير من التخليط والاضطراب والتلفيق ، مصدره أن شيوخ أبى الفرج ورواته من موالى العباسيين ، ومن العباسيين أنفسهم لم يكونوا يُدَقِّقون فيما يروون من الأخبار . بل كانوا يتدخلون فيه ، ويعيدون تَأْلِيفهُ مما تراكم من أخبار الوليد ، إذ يروى أبو الفرج عن الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وعن إبراهيم بن المهدى[١٣٨] أن الأبجر دخل على الوليد مع المغنين فَغَنّوه فى كل فَنٍّ ، فلم يتحرك ولا نشط ، فقام الأبجر إلى الخلاء وسأل خادماً للوليد عن سبب انقباض نفسه ، فقال له : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنه عشق أختها فغضبت عليه ، وقد عزم على طلاقها . فعاد الأبجر وما جلس حتى اندفع فَغَنّى فى بيتين من الشعر ، فطرب الوليد وارتاح ، وقال : أصبت ما فى نفسى ، وأمر له بعشرة آلاف درهم . فلما انقضى المجلس وثب الأبجر فقال : إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربنى مائةَ الساعةَ بحضرتك ! فضحك[١٣٩] ! .

ففى الخبر ما يفيدَ أنَّ أحداثه وقعت فى خلافة الوليد ، إذْ يُناديه الأبجر بأمير المؤمنين ، وبعض فقرات الخبر تدحض ذلك ، إذ يعزى فسادُ نفس الوليد إلى توتر علاقته بزوجته سعدى لحبه أختها وميله إليها . ومعروف أنه إنما توترت علاقته بزوجته سعدى ثمَ طَلّقها أثناء ولايته للعهد ، مما رواه أبو الفرج فى موضعٍ آخر من كتاب الأغانى[١٤٠] .

(١٣٦) الأغانى ٩ : ٢٥٠ .
(١٣٧) الأغانى ١ : ٣٦ .
(١٣٨) ترجمته بالأغانى ١٠ : ٦٩ .
(١٣٩) الأغانى ٣ : ٣٤٨ .
(١٤٠) الأغانى ٧ : ٢٦ .

ومن المغنين المكيين الذين استقدمهم الوليد أو وفدوا عليه فى آخر خلافته الهُذَلِيُّ وكان من ألمع المغنين بمكة[١٤١] ، ولم يحفظ أبو الفرج من أخباره ما يوضح صلته بالوليد ومنزلته عنده ، وإنما أشار فى أخبار غيره من المغنين أنهم شهدوه فى مجالس الوليد[١٤٢] .

وأكثر المغنين الذين أحاطوا بالوليد فى أيام ولايته للعهد وخلافته هم من المدينة ، منهم يونس بن سليمان المشهور بيونس الكاتب[١٤٣] . وأخذ الغناء عن معبد وابن سريج وابن محرز والغريض . وكان أكثر روايته عن معبد . ولم يكن فى أصحاب معبد أَحْذَقَ ولا أَقْوَمَ بما أخذ عنه منه . وله غناء حسن وصنعة كثيرة ، وشعر جيد . وكتابه فى الأغانى ونسبها إلى من غنّى فيها هو الأصل الذى يعمل عليه ويرجع إليه ، وهو أول من دوّن الغناء .

وكان يونس خرج من المدينة إلى الشام فى تجارة ، فبلغ الوليد مكانه ، فأرسل إليه من أتاه به ، وهو ولى عهد . فغناه فأعجبه غناؤه . ومكث عنده ثلاثة أيام يغنيه . ثم استأذن فى العودة إلى وطنه ، فأذن له ، ووهبه ثلاثة آلاف دينار . فلما أفضت الخلافة إلى الوليد وفد يونس عليه ، ولم يزل مقيماً عنده حتى قتل .

ويَعْرِضُ أبو الفرج اتِّصالَ يونس بالوليد فى ترجمة مصعب الزبيرى عرضاً عادياً[١٤٤] ، ويعرضه فى ترجمة يونس عرضاً آخر فيه تَصَرُّفٌ وَتَزَيُّدٌ وسخرية[١٤٥] . فهو فى الرواية الأولى يزعم أن الوليد كان يعرفه ، وأن يونس هو الذى قصده فى خلافته . وهو فى الرواية الثانية يقول : إن يونس انصرف من مجلسه وهو لا يعرف شَخْصَه ، حتى سأل عنه فقيل له : هذا الأمير الوليد بن يزيد ولى عهد أمير المؤمنين هشام ! ويذهب إلى أن الوليد هو الذى بعث إليه بعد أن استخلف ، مما يكشف عن تَحْوير أبى الفرج فى نَصِّ الخبر مع أنه نقله عن عمه فى الروايتين !

واستَدعى الوليد عُطَرِّدًا المدنى[١٤٦] . وكان حسن الغناء ، طيب الصوت ، جيد الصنعة ، أدرك دولة بنى العباس ، وانقطع إلى آل سليمان بن على ، ولم يخدم غيرهم . وتوفى فى خلافة المهدى ، ويقال إنه بقى إلى أيام الرشيد .

---

(١٤١) الأغانى ٥ : ٦٥ .

(١٤٢) الأغانى ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٣ .

(١٤٣) الأغانى ٤ : ٣٩٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٢ .

(١٤٤) الأغانى ١٩ : ١٣٣ .

(١٤٥) الأغانى ٤ : ٤٠٠ .

(١٤٦) الأغانى ٣ : ٣٠٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٢ .

وينقل أبو الفرج استدعاء الوليد له واحتفاله به عن شيخه محمد بن مزيد الخزاعى اليمنى الوضاع المتهم نقلاً فيه كثير من الخيال ، إذ يقول : إن الوليد كان جالساً على شفير بركةٍ مُرَصَّصة ليست بالكبيرة ، ولكنها يدور فيها الرجل سباحة . فلما غناه عُطَرِّدٌ شق ثيابه ، ورمى نفسه فى البركة ، فَنَهَل منها حتى نقصت نقصاناً بَيِّناً . وغناه فى اليوم التالى . فاستخفه الطرب وصنع مثل ما صنع فى اليوم الأول . ثم حذره فى اليوم الثالث أن يُفْشى ما رأى ، وهدده بالقتل إن بلغه أنه تحدث بشىء مما جرى ، وأعطاه ألف دينار وأعاده إلى المدينة(١٤٧) .

فالوليد فى طربه وشربه كما يصفه محمد بن مزيد الخزاعى إنسان غريب عجيب ، إذا أخذ به الطرب مأخذه قطَّع ثيابه ، وإذا شرب فإنه لا يشرب بكأس ، بل يَعُبُّ من بركةِ خمرٍ عَبًّا ينخفض معه مستوى الخمر فيها انخفاضاً ظاهراً !

وربما كان وراء تصوير طرب الوليد وشربه هذا التصوير الأسطورى سبب آخر غير هوى أبى الفرج ، وهوى شيخه محمد بن مزيد الخزاعى ، وهو منافقة عطرد للعباسيين . مما كان يغريه بأن يَتكَثَّر ويأتى بكل خبر طريف نادر فيه تشنيع على الأمويين ، فإن أكثر الشعراء والمغنين من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية تنكروا للأمويين بعد سقوط دولتهم ، وتحولوا يعيبونهم ، ويبالغون فى وصف ظلمهم وطغيانهم وانحرافهم(١٤٨) !

ومعبد هو أكبر مُغَنِّى المدينة الذين استضافهم الوليد فى خلافته(١٤٩) . كان من أحسن الناس غناءً ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقاً . وهو فحل المغنين ، وإمام أهل المدينة فى الغناء . وكان الوليد مفتوناً به قبل أن يفد عليه . وكان يُرَدِّد أنه لا يقدر على الحج خوفاً من أن يلقاه أهل المدينة بألحانه فينفتح بها طرباً(١٥٠) فكتب يستضيفه ، فقدم إليه ويجرى خَبَرُ استقبال الوليد له ، ونشوته به فى أسلوب يعج بالمبالغة ، مُشابهٍ لأسلوب رواية محمد بن مزيد الخزاعى خبر احتفال الوليد بعُطَرِّد فقد هُيِّئَت له بركة ، وملئت بالخمر والماء ، وأتى بمعبد فجلس على طرف البركة ، وبينهما سَتْرٌ مُرْخًى ، فغناه معبد صوتاً فرفع الوليد الستر ، ونزع ملاءة مطيبة كانت عليه ، وقذف نفسه فى البركة ، فنهل

---

(١٤٧) الأغانى ٣ : ٣٠٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٣ .

(١٤٨) البيان والتبيين ٣ : ٢٢١ ، وتاريخ الطبرى ٨ : ١٠١ ، ١٨٣ ، والعقد الفريد ٥ : ٨٩ ، والأغانى ٤ : ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٦ : ١١٢ ، ١٧٣ ، ٢٠ : ٣٩٩ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١١٥ .

(١٤٩) الأغانى ١ : ٣٧ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٦٢ .

(١٥٠) الأغانى ١ : ٤٠ ، ٩ : ٢٣٦ .

منها نهلةً ، ثم أتى بأثواب غيرها . ثم قال له : غننى ، فغناه صوتاً آخر . فدعا له بخمسة عشر ألف دينار ، قبضها بين يديه ، وقال له : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت[١٥١] .

والمظنون أن ما فى الخبر من تَهْويلٍ هو من صُنْعِ سليمان بن غزوان ، مولى هشام بن عبد الملك ، الذى كان الناس يتقربون إليه بِعَيْبِ الوليد[١٥٢] . فإن مولى هشام هو ثانى رواة الخبر وراويه الأول مجهول . فكأن مولى هشام هو راوى الخبر ، ومخرجه هذا الإخراج الفنى الخيالى ، وإلَّا فإن للخبر صورة أخرى نقلها أبو الفرج . وما فيها من التهويل قليل بالقياس إلى ما فى رواية مولى هشام من تهويل كثير ، فليس فيها أن البركة ملئت خمراً ، بل ماء وَرْدٍ قد خلط بمسك وزعفران[١٥٣] .

ويبدو أن معبداً زار الوليد مرات ، ومات فى زيارته الأخيرة له ، فحزن عليه ، وتولَّى أمر دفنه ، وأخرجه من داره إلى قبره[١٥٤] .

واستقدم الوليد دَحْمَان المدنى[١٥٥] وهو من رواة معبد وغلمانه المتقدمين ، كان على صلاحه يغنى ويعلم الجوارى الغناء ، ويَتَّجِرُ بهن ، وامتد به العمر إلى الدولة العباسية ، فاتصل بجعفر بن سليمان والى المدينة ، ودخل على المهدى ، وكان من مغنيه المفضلين ، ويقال : إنه وهبه فى ليلة خمسين ألف دينار .

وقد اشترى منه الوليد جارية حاذقة مجيدة بعشرة آلاف درهم . وعندما علم أنها من جواريه أمر فحمل إليه ، فلم يزل عنده أثيراً[١٥٦] .

وَوَفَدَ على الوليد من مغنى المدينة عمر الوادى[١٥٧] . وكان طَيِّب الصوت شَجِيَّه مُطْرِبَه . قدم على الوليد فى أيام خلافته ، فعلت مكانته عنده ، وكان يسميه «جامع لذاتى ومحيى طربى» . وكان يجتمع عنده مع معبد ومالك بن أبى السمح وغيرهما من المغنين ، فلا يمنع الوليد حُضُورُهم من تقديمه والإصغاء إليه ، والاختصاص له . وكان يدنيه ويأنس به ويتبسط معه ، حتى لقد نظم مقطوعة فى الثناء عليه والإطراء لطريقته فى الغناء يقول فيها[١٥٨] :

---

(١٥١) الأغانى ١ : ٥٢ .

(١٥٢) العقد الفريد ٤ : ٤٥١ .

(١٥٣) الأغانى ١ : ٥٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٦٣ .

(١٥٤) الأغانى ١ : ٣٧ .

(١٥٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢١٦ ، والأغانى ٦ : ٢١ .

(١٥٦) الأغانى ٦ : ٢٧ .

(١٥٧) الأغانى ٧ : ٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٤ .

(١٥٨) الأغانى ٧ : ٨٥ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٤ .

إنى فَكَّرْتُ فى عمرٍ حين قَالَ القَوْلَ فاخْتَلَجا
إنه لِلْمُسْتَنِير به قَمَرٌ قد طَمَّسَ السُّرُجا
ويُغَنِّى الشعرَ يَنْظِمُهُ سَيِّدُ القوم الذى فَلَجا
أكملَ الوادِىُّ صَنْعَتَهُ فى لُبابِ الشعرِ فَانْدَمَجَا

ووهبه الوليد خاتماً نفيساً مكافأة لغنائه فى مقطوعة غزلية نظمها فى سلمى[١٥٩]. ولم يكن الوليد يصبر عنه ، أو يطيق فراقه . فكان سميره ورفيقه بدمشق وبادية الأردن . وقتل الوليد وهو بصحبته[١٦٠].

وقَصَد الوليد من مغنى المدينة حكم الوادى[١٦١]. وكان واحِدَ دَهْرِه فى الحِذْق ، كان ينقر بالدف ، ويغنى مرتجلاً ، وعُمِّر عمراً طويلاً ، إذ غنى الوليد بن عبد الملك مولاه ، وغنى الرشيد ، ومات فى خلافته . وإنما سعى إلى الوليد ليحظى عنده ، وينال بعض جوائزه ، بعد أن سمع بحبه للغناء ، واحتفاله بالمغنين ، فأوصله إليه عمر الوادى ، وكان سبقه فى القدوم إلى دمشق ، فغنى الوليد بشعر غزلى لمطيع بن إياس ، سَرَّه به ، فأعطاه عليه ألف دينار ، وعقداً من الجوهر[١٦٢].

وأمَّه منهم محمد بن عائشة[١٦٣] ولم يكن بالمدينة بعد طويس أحد أعلم منه ولا أظرف مجلساً . ولا أكثر طيباً . وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك[١٦٤]. وكان من أحسن المغنين ابتداء ، حتى كان يضرب المثل بابتدائه فى الغناء . فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة أو إنشاد شعر أو غناء يبدأ به فيستحسن كأنه ابتداء ابن عائشة[١٦٥] واشتهر بصوته الصافى الشجى ، فاستولى على ألباب فتيان المدينة ، فتتابعوا عليه ، وأطافوا به يستمعون إلى غنائه[١٦٦].

وفيما ينقله أبو الفرج عن شيخه محمد بن مزيد الخزاعى أن الوليد لَقِى ابن عائشة فى مكة يوم ولى موسم الحج فى خلافة عمه هشام ، وتشاغل باللهو ، وأمر مولاه عيسى بن مقسم أن يصلى بالناس ،

(١٥٩) الأغانى ٧ : ٨٨ .
(١٦٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ ، والأغانى ٧ : ٨٥ .
(١٦١) الأغانى ٦ : ٢٨٠ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٠٧ ، ونهاية الأرب ٤ : ٣٠٥ .
(١٦٢) الأغانى ٦ : ٢٨١ ، ١٣ : ٢٧٨ .
(١٦٣) الأغانى ٢ : ٢٠٣ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٠ .
(١٦٤) الأغانى ٢ : ٢٠٥ .
(١٦٥) الأغانى ٢ : ٢٠٤ .
(١٦٦) الأغانى ٢ : ٢٠٣ .

وبعث إلى المغنين ، فأتوه وغنوه . وكان ابن عائشة أحدهم ، فغناه ، فنعر الوليد نعرة سمعها أهل مكة[١٦٧] !

وهو يصوغ خبر لقاء الوليد بابن عائشة ، وطربه لغنائه . مما ينسبه شيوخ محمد بن مزيد الخزاعى إلى المدائنى صِياغةً مثيرةً ساخرةً موسعةً مخالفةً لأصل الخبر كما رواه البلاذرى[١٦٨] والطبرى[١٦٩] عن المدائنى ، فإنهما لم يذكرا إلّا أن الوليد ظهر منه تهاون واستخفاف ، كما أن خليفة بن خياط يرجح أن الوليد هو الذى أقام الحج ، ويُقَدِّمه على ما يقال من أنه أمر مولاه عيسى بن مقسم بإقامته[١٧٠] .

واستدعى الوليد ابن عائشة فى خلافته ، فبقى عنده مدة يُغَنِّيه ويُفْرِحُه ، وهو يُدْنيه ويُجْزِلُ العطاء له[١٧١] . ومات وهو راجع من دمشق إلى المدينة فى خلافة الوليد[١٧٢] .

ويُسِفُّ أبو الفرج فى حديثه عن استخفاف غناء ابن عائشة للوليد ، ويَفْحِشُ فى تصوير مُداعبة الوليد له ، وعبثه به[١٧٣] إفحاشاً يشركه فيه المسعودى[١٧٤] ، إذ يرويان أنه غناه بشعرٍ غزلىٍّ فطرب حتى كفر وألحد . وظل يستعيده ، وهو يستجيب له ، ثم قام إليه ، فأكب عليه ، فلم يبق عضو من أعضائه إلاّ قَبَّلَهُ ، وأهوى إلى هَنِهِ ، فَقَبَّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقى مجرداً إلى أن أتوه بمثلها .

هذا الإلحاح فى تضخيم خروج الوليد عن طوره فى طربه ، والهَتْكُ له ، والحكم بإلحاده سَبَبُها كُرْهُ أبى الفرج والمسعودى للوليد ، ورغبتهما فى تشويه سيرته تشويهاً كانا يعمدان إليه عمداً دون تعفُّفٍ أو احتيال لَطِيفٍ ، فكانا لا يتورعان عن حمل أخباره المزيفة التى لفقها الرواة ، اليمنيون المتميزون ، وغيرهم من الرواة المتشيعين ، الذين لا ترتضى رواياتهم بل يُحْتَرسُ منها ، ويُتَحَوَّطُ عليها لحقد أصحابها على الوليد وبنى أمية ، وثُبُوتِ تحريفهم فى أخبار الوليد ثبوتاً قاطعاً ، بَانَ فى الفصلين السابقين من مقارنة أكثر رواياتهم لأخبار الوليد بروايات غيرهم من العلماء الموثقين لها .

وسلسلة رواة الخبر التى أوردها أبوالفرج[١٧٥] تكشف عن تضافر هذه الجماعات من الرواة

---

(١٦٧) الأغانى ٢ : ٢٣٩ .

(١٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص ٣١٠ .

(١٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(١٧٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥١٢ .

(١٧١) الأغانى ٢ : ٢٢٧ ، ٢٣٦ .

(١٧٢) الأغانى ٢ : ٢٣٥ .

(١٧٣) الأغانى ٢ : ٢٢٦ . وانظر نهاية الأرب ٤ : ٢٨٥ .

(١٧٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(١٧٥) الأغانى ٢ : ٢٢٥

المتعصبين على التشبث بالخبر وإشاعته ، إذ فيهم من شيوخ أبى الفرج المباشرين من اليمنيين الساخطين محمد بن مزيد الخزاعى ، وحبيب بن نصر المُهَلَّبِى ، وفيهم من شيوخه من المتشيعين إسماعيل بن يونس الشيعى ، وفيهم المجهول الذى يسمى محمداً ، والذى يزعم شيوخ أبى الفرج أنه محمد بن سَلاَّم ، فى حين لم يذكر عمر بن شبه فى خبره أنَّ من يسمى محمداً هو ابن سلام[١٧٦] . وأول رواة الخبر مجهول . فهو شيخ من تنوخ لا يعرف اسمه ، ولا يُدْرَى من هو ، وإن كان شيوخ أبى الفرج يَدَّعون أنه كاتم ستر الوليد[١٧٧] !

واستوفد الوليد من المدينة مالك بن أبى السَّمْح الطائى[١٧٨] . وهو من المغنين الذين نبغوا فى مطلع القرن الثانى ، وعاش حتى أدرك الدولة العباسية ، وانقطع إلى بنى سليمان بن على العباسى . ومات فى خلافة المنصور .

وإنما استوفده الوليد لأنه سَئِمَ أساليب كبار المغنين الذين قدموا عليه ، وطال مقامهم عنده ، وأراد أن يسمع غيرهم ، فقد ضجر من وَلُولَةِ معبد ، وآذاه استهلال ابن عائشة ، فطلب منهما أن يختارا له مُغَنِّياً يكون مذهبه وَسَطًا بين مذهبيهما . فأشارا عليه بمالك ، فكتب فى إشخاصه إليه . فلما دخل عليه وغناه لأول مرة لم يعجبه ، فَتَوَسَّل إليه بأخيه الغمر ، فأوصله إليه ثانية ، فغناه فأطربه ، وظل يستمع إلى غنائه أياماً ، ثم كافأه لمَّا استأذنه فى العودة إلى موطنه[١٧٩] . ويبدو أن مالكاً تَرَدَّدَ على الوليد مراراً ، ففى خبر مقتل الوليد أنَّ مالكاً كان معه يوم قتل[١٨٠] .

وخَالدُ صَامةٍ هو آخر مُغَنٍّ استدعاه الوليد من الحجاز[١٨١] . وكان من أحسن الناس غناءً على عود[١٨٢] . فقدم عليه وقصره يَعِجُّ بالمغنين من أمثال معبد ومالك بن أبى السمح ، والهذلى ، وعمر الوادى ، وأبى كامل . فغناه بشعر لعروة بن أذينة فى رثاء أخيه بكر ، فَنَفَر الوليدُ من معانيه الحزينة ، إذ رآها مُفْسِدَةً لنفسه المنشرحة ، ومُعَكِّرَةً للأجواء السعيدة التى كان يعيش فيها غارقاً فى المسرة والفرحة[١٨٣] .

---

(١٧٦) الأغانى ٢ : ٢٢٦ .

(١٧٧) الأغانى ٢ : ٢٢٦ .

(١٧٨) الأغانى ٥ : ١٠١ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٨٨ .

(١٧٩) الأغانى ٥ : ١١١ ، ١١ : ٧٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩١ .

(١٨٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ . والأغانى ٥ : ١١١ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٩٢ .

(١٨١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١٢١ .

(١٨٢) الأغانى ٧ : ٦٢ .

(١٨٣) الكامل للمبرد ٢ : ٢٥٣ ، والأغانى ٧ : ٦٢ ، ١٨ : ٣٣٤ ، وذيل زهر الآداب ص : ٢٦٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٩٥ .

وأبو كامل هو المغنى الدمشقى الوحيد الذى أحاط بالوليد[١٨٤]. وكان مُغَنِّياً مُحْسِناً ، وطيباً مُضْحِكاً . ولم يسمع له بخبر بعد أيام بنى أمية ، ولعله مات فى أيامهم ، أوقتل معهم .

ولمَّا كان أبو كامل مَوْلًى للوليد ، وكان فَكِهاً خفيف الروح ، فقد قَرَّبه الوليد إليه ، فكان من خاصته ، وممن يشهدون مجالس لهوه ، ويسمرون معه ، فانعقدت بينهما مودة صافيةٌ ، ومَحَضَ كل منهما صاحِبَهُ أَخْلَصَ المحبة . وعبَّر الوليد فى شعره عن منادمته لأبى كامل ، واسْتِظْرافِهِ له ، واسْتِجادَتِه لِغنائه ، وما غَمَرَهُ به هو ورفاقه من المغنين الظرفاء من الهبات ، وما أثارت مصاحبته لهم من شَغَبِ العاذلين ، وغَضَبِ الجاهلين ، إذ يقول[١٨٥] :

سَقَيْتُ أبا كاملٍ من الأَصْفَرِ البَابِلِى
وسَقَّيْتُها مَعْبَداً وكلَّ فَتىً فاضِلِ
لى الْمَحضُ مِنْ وُدِّهِمْ ويَغْمُرُهُمْ نائِلِى
وما لاَمَنِى فيهمُ سوى حاسدٍ جَاهِلِ

ويقول مُصَرِّحاً باختِصاصه به ، ومنادمته له على الشراب ، وأنه لم يكن يعبأ بعيب اللائمين له ، مما كان يُؤَثِّر فى العامة ويَهِيجُهم عليه[١٨٦] :

وزقٌّ وافرِ الجَنْبَيْـ ـنِ مِثْلِ الجمل البَازِلْ
بِه رُحْتُ إلى صحْبِى وندمانى أبى كامِلْ
شَرِبْنَاهُ وقد بِتْنا بِأَعْلَى الدَّيْرِ بالسَّاحِلْ
ولم نَقْبَلْ مِنَ الواشى قَبُول الجاهِلِ الخاطلْ

ويقول مصوراً تعلقه به ، لما كان يبعث فى نفسه من البهجة والنشوة ، ولما عَرَفَ من حسن معاشرته ، وأنه لم يكن يحتمل غيابه عنه ، إذ كان يتركه بلا أنيس ولا مُسَلٍّ[١٨٧] .

مَنْ مُبْلِغٌ عنى أباكاملٍ أنِّى إذا ما غَاب كالهامِلِ[١٨٨]
وزَادنى شوقاً إلى قُرْبِهِ ما قد مَضَى مِن دَهْرِنا الحائلِ
إنِّى إذا عَاطَيْتُهُ مُزَّةً ظَلْتُ بيوم الفَرَحِ الجاذل

(١٨٤) الأغانى ٧ : ٩١ .
(١٨٥) الأغانى ٧ : ٩٣ .
(١٨٦) الأغانى ٧ : ٩٢ .
(١٨٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ ، والأغانى ٦ : ٣٦٠ .
(١٨٨) الهامل : البعير المهمل الذى لا راعى له .

وكان أبو كامل يُغَنِّى الوليد فى أرقِّ أشعارِ الغزلِ على أرشقِ الألحان ، فكان يستعذب غناءه ، وكان إذا غناه بشعره الذى نظمه فى سلمى بنت سعيد بن خالد يخلب لُبَّه ويفوز منه بأكبر الجوائز . ويقال : إنه غناه بمقطوعة منه فطرب الوليد وخلع عليه قَلَنْسِيَةَ وَشْىٍ مذهبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يَصُونها ولا يَلْبَسُها إلّا من عيد إلى عيد ويمْسَحُها بكُمِّهِ ويَرْفَعُها ويبكى ويقول : إنما أرفعها لأنى أجد منها ريح سيِّدى ، يعنى الوليد[١٨٩] .

وكان عند الوليد من المغنيات عاتكة بنت مولاته شُهْدة المدنية المغنية[١٩٠] ، وسعاد[١٩١] ، وصَدُوف[١٩٢] ، وغيرهن ممن لم تذكر أسماؤهن[١٩٣] . وانقطعت إليه سلامة القس بعد موت أبيه ، فاحتفى بها ، وكان يسألها أن تغنيه بشعرها الذى ناحت به على أبيه ، فكانت تَمْتَنِعُ ، ولا تغنيه إلاَّ إذا ألح عليها[١٩٤] .

وتَحَلَّق على الوليد عددٌ من المُضْحكين والمُلْهين . منهم أبو البيضاء سهيل بن أبيض . وهو من شعراء المدينة الظرفاء ، ومن أهل الدعابة منهم . ولا يُحدِّدُ ما تناثر من أخباره اليسيرة تاريخ معرفته للوليد أو وقت انضمامه إليه ، ولكنه يشير إشارة عابرة إلى أن الوليد كان يستطيب شعره ونوادره[١٩٥] .

وأحاط بالوليد مضحكٌ ثانٍ يقال له : زُبالة . ويُرْوى أن الوليد كتب بين عَيْنَيْهِ عبارة مُقْذِعةً ، فَكَرِه الناس ذلك منه ، وتحدَّثوا به ، وأخذوه عليه[١٩٦] وليس لزبالة ترجمة أو أخبار أخرى غير هذا الخبر الذى حمله البلاذرى عن أستاذه المدائنى .

وأشعب هو أكبر مُضْحكى المدينة الذين جاوروا الوليد ، وطالت مُعَاشرتهم له[١٩٧] . وكان فى أول حياته من قُراء القرآن ومن المُحَدِّثين . ولكنه كان صاحب هَزْلٍ ، فاشتهر به ، وغَطَّى على قراءته للقرآن وروايته للحديث ، حتى كان أطيب أهل زمانه عِشْرَةً ، وأكثرهم نادرة ، وكان من أحسن

---

(١٨٩) الأغانى ٧ : ٩١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٧ .

(١٩٠) الأغانى ٦ : ٢٦٠ .

(١٩١) الأغانى ٧ : ٢٢ .

(١٩٢) الأغانى ٧ : ٤٤ .

(١٩٣) الأغانى ٧ : ٥٢ .

(١٩٤) الأغانى ٨ : ٣٤٨ .

(١٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٣٨ .

(١٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(١٩٧) ترجمته فى الأغانى ١٩ : ١٣٥ ، وتاريخ بغداد ٧ : ٣٧ ، وذيل زهر الآداب ص : ٥٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٧٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٤٧١ ، وميزان الاعتدال ١ : ٢٥٨ ، ونهاية الأرب ٤ : ٢٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١١ .

الناس أداءً لغناء سمعه ، وعاش عمراً مديداً ، فعاصر الدولة الأموية . وشطراً من الدولة العباسية ، وتوفى سنة أربع وخمسين ومائة .

وقد نُقِل للوليد بعض طرائفه ونوادره ، فأعجب بها ، وكتب بإشخاصه إليه فى خلافته ، فَحُمِلَ إليه ، واتصلت مخالطته له . ويروى البلاذرى أنه ألبسه سراويل من جلْد قِرْدٍ له ذَنب[١٩٨] . ويضيف أبو الفرج أنه أمر أن يُشَدَّ فى رجليه أجراس ، وفى عُنُقِه جلاجل ، فَفُعِل به ذلك ، فدخل عليه وهو عَجبٌ من العَجَب ، فلما رآه ضحك[١٩٩] ، وطلب إليه أن يَرْقُص ويُغَنِّى صوتاً كان يَروُقه ، فأبى أن يرقص ويغنى ، ولكنه أضْحَكَهُ بجملة من الفكاهات والمُلَح ، فأمر له بألف درهم[٢٠٠] .

ومع أن كل من ترجموا لأشعب ألَمُّوا باستقدام الوليد له ، وعرضوا لبعض دعاباته اللطيفة التى أضحكه بها ، وكادوا يُحْصُون أكثر ما له من النوادر فإن أبا الفرج ينفرد بِنَقْلِ بعض السخافات التى يزعم أن الوليد مَجَنَ بها مع أشعب ، كقوله : أن يَسْجُد لِمتَاعهِ ثلاثاً فَسجد ! وهى سخافات تَعلَّق بها مع الرواة من موالى العباسيين ، وحملها أبو الفرج عنهم ، إذ أخذها مرة[٢٠١] عن الحسن بن على مَوْلَى عبد الصمد بن على الهاشمى ، الذى أخذها عن أحمد بن الحارث الخرّاز ، مَوْلى أبى جعفر المنصور . ويزعم الأخير أنه حملها عن أستاذه المدائنى .

وروى أبو الفرج هذه البذاءات مرة ثانية عن محمد بن العباس عن الخليل بن أسد عن العمرى عن الهيثم بن عدى[٢٠٢] . وآخر رجال السند وأولهم من علماء العباسيين ، فاليزيدى[٢٠٣] من أسرة لاذت بالعباسيين ، وحظيت عندهم ، وكانت متعاطفة معهم تعاطفاً يَدُلُّ عليه أن اليزيدى ألّف كتاباً فى «مناقب بنى العباس»[٢٠٤] . وكان جده أبو محمد يحيى بن المبارك[٢٠٥] يُؤدِب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ، خال المهدى ، ثم اتَّصل بهارون الرشيد ، فجعل ولده المأمون فى حجره ، فكان

---

(١٩٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ .

(١٩٩) الأغانى ١٩ : ١٧١ .

(٢٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ .

(٢٠١) الأغانى ٧ : ٤٧ . والخبر فى عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة ٢٤ ظ .

(٢٠٢) الأغانى ٧ : ٥٩ .

(٢٠٣) ترجمته فى الفهرست ص : ٥٠ ، وإبناه الرواه ٣ : ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٣ : ١١٣ ، ونزهة الألبا ص : ٢٤٣ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٣٧ ، وبغية الوعاة ص : ١٢٤ .

(٢٠٤) الفهرست ص : ٥١ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٣٨ .

(٢٠٥) ترجمته فى نزهة الألبا ص : ٨١ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٢٧٣ ، والورقة ص : ٢٨ ، ومعجم الشعراء ص : ٤٨٧ ، والأغانى ٢٠ : ٢١٦ ، وتاريخ بغداد ٤ : ١٤٦ ، ونور القبس ص : ٨٠ ، ومرأة الجنان ٢ : ٣ . ومعجم الأدبا ٧ : ٢٨٩ . ووفيات الأعيان ٦ : ١٨٣ ، وبغية الوعاة ص : ٤١٤ ، وخزانة الأدب ٤ : ٤٢٦ . وشذرات الذهب ٢ : ٤ .

يُؤَدِّبه[٢٠٦] . ولم يزل أبو محمد وأولاده مُعْتَصِمين بالمأمون وبَنِيه مُدَّة حياتهم ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياد[٢٠٧] .

والهيثم بن عدى يَمَنِىُّ الهَوَى ، فهو من طيئ ، وممَّن سَكَن منها الكوفة ، موطن الشَّغب على الأمويين . ومما يكشف عن انحيازه لأهل اليمن ، وتعصبه على الوليد بن يزيد أنه صَنَّف كتاباً فى «مقتل خالد بن عبد الله القسرى»[٢٠٨] . وكان من علماء العباسيين ورواتهم ، إذكان له اختصاص بالمنصور والمهدى والهادى والرشيد[٢٠٩] . فكان يُتْحِفهم بمثل هذه الأخبار المزرية المصنوعة التى تقدح فى الأمويين وخلفائهم ، بعد أن حبسوه عدة سنين لأنه نال من جدهم العباس بن عبد المطلب[٢١٠] . ويتفق كل من ترجموا له[٢١١] على أنه كان دَعِيًّا وضاعاً مولعاً برواية المثالب حتى يَعُرَّ أهل الشرف تَشَفِّياً[٢١٢] منهم . وهو لا يوصف بالضعف فيما كان يروى من الأحاديث فحسب ، بل يوصف به أيضاً فيما كان يروى من الأخبار ، إذ كان غير مُوَثَّق ولا مُدَقِقٍ فى استعمال السند[٢١٣]

فهؤلاء الرواة من شيوخ أبى الفرج وأساتذتهم من أتباع العباسيين هم مصدر الأخبار المنحطة الملصقة بالوليد ، وهم الذين كانوا يزيفونها ويفتعلونها عليه ، وكان أبو الفرج ينقل عنهم الأخبار الساقطة عن قصد وتصميم ، بل كأنما كان ينقر عنها تنقيراً ، ولا يلتقط إلاَّ القبيح منها . ومما يُرَجِّح دَسَّ شيوخه من أشياع العباسيين فى الخبر الفقرة التى تصمُ الوليد بالتَّعَهُّر فى ممازحته لأشعب أنها لم ترد فى رواية البلاذرى للخبر عن أستاذه المدائنى وغيره من الإخباريين ، وإنما وردت فى رواية أحمد بن الحارث الخَرَّاز للخبر عن المدائنى . فنَصُّ الخبر عند البلاذرى[٢١٤] لا يُفِيدُ إلاَّ أن الوليد استدعى أشعب وغَيَّر شكله ليضحكه ، ونَصُّهُ عند أبى الفرج كما أخذه عن أحمد بن الحارث الخراز هو الذى يَتَضَمَّنُ الفقرة التى تتهم الوليد بأنه أَمَره أنْ يَسْجُدَ لمَتَاعِهِ ثلاثاً فسجد !

---

(٢٠٦) تاريخ بغداد ١٤ : ١٤٧ ، ونزهة الألبا ص : ٨١ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٨٩ ، ونور القبس ص : ٨٠ .

(٢٠٧) الأغانى ٢٠ : ٢١٦ .

(٢٠٨) الفهرست ص : ١٠٠ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦٦ .

(٢٠٩) إنباه الرواه ٣ : ٣٦٥ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ١٠٧ .

(٢١٠) ضحى الإسلام ٢ : ٣٥٧ .

(٢١١) ترجمته فى الفهرست ص : ٩٩ ، وإنباه الرواه ٣ : ٣٦٥ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٥٠ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٦١ ، ووفيات الأعيان ٦ : ١٠٦ ، ولسان الميزان ٥ : ٢٠٩ ، وميزان الإعتدال ٤ : ٣٢٤ ، والمغنى فى الضعفاء ٢ : ٧١٧ ، وسمط اللآلى ص : ٨٠٧ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٥٦ ، ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

(٢١٢) سمط اللآلى ص : ٨٠٧ .

(٢١٣) نشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٤٢ .

(٢١٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ .

ويلحق ابن شاكر الكتبي بمضحكي الوليد الثلاثة السابقين مضحكاً رابعاً ، إذ يقول : إن بُدَيْحاً كان من مضحكيه ، وإن الوليد جعله أميراً على القرود التي يلعب بها ، وجعل له سراويل من جلود القرود فيه ذنب طويل يُلْبِسُهُ إياه ، ويأمُرُه بالرَّقْصِ[٢١٥] . وهو يخلط بلا ريبٍ بين أشعب وبُدَيْح ، فأشعب هو الذى استقدمه الوليد واصطنعه مضحكاً له ، أما بديح[٢١٦] فلم يُدْرِك أيام الوليد ، فهو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب المتوفى سنة ثمانين[٢١٧] ، وتدل أخباره أنه كان مشهوراً فى عهد معاوية[٢١٨] ، وأن مولاه دخل به عليه ، كما امتد به العمر إلى أيام عبد الملك بن مروان ، فوفد به مولاه إليه ، فأطرفه بديح بنوادره ، وسَلَّاه فى مرضه ، فكافأه ، وأسنى جائزته[٢١٩]

ومن مراجعة ما حمله المؤرخون والأدباء من أخبار كلف الوليد بالغناء والمضحكين يتَّضح اختلافهم فى العناية بهذا الجانب من جوانب حياته الخاصة ، وتصويرهم له ، وتقديرهم لأثره فى ثورة معارضيه به ، فخليفة بن خياط[٢٢٠] ، وأبو حنيفة الدينورى[٢٢١] ، والمسعودى فى بعض كتبه[٢٢٢] ، يهملون الحديث عنه ، وَيَرُدُّون امتعاض الرعية منه ، وانتفاض خصومه عليه إلى اشتداد التنافس بين أبناء الأسرة الأموية فى الخلافة ، وإلى استعلاء التيار القبلى ، واحتدام النزاع بين المضرية واليمنية فى الاستئثار بالسلطة .

والطبرى من أوائل المؤرخين الذين بدأوا يتحكَّمون فى عرض أخبار الوليد ، ويُلحُّون على ما يؤكِّد منها ولعه بالمغنين والمضحكين والفاسقين ، وما يُحقِّق رَمْيَهُ بالمجانة والمروق من الدين . فقد انتخب بعض الأخبار التى تُوَضِّح شغفه بالغناء والشراب والهزل توضيحاً قوياً ، ولم يُعَلِّق عليها ، بل اقتصر على ذكر أسانيدها ، ونسْبَة ما فيها من الصواب والخطأ إلى رُواتها الذين أخذها عنهم[٢٢٣] ، وأورد بعض الأخبار مُركَّزةً مُكثَّفةً حافلة بكل تلك التهم التى قُذِف بها دون إسناد[٢٢٤] !

والمؤرخون من الشيعة هم الذين لَجُّوا فى تهويل عناية الوليد بالمغنين والمضحكين ، وبالغوا فى

---

(٢١٥) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ ٥ ، الورقة ٢٣ و .

(٢١٦) ترجمته فى الأغانى ١٥ : ١٧٤ .

(٢١٧) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٣ .

(٢١٨) تاريخ الطبرى ٥ : ٣٢٦ .

(٢١٩) الأغانى ١٥ : ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٢٢٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ .

(٢٢١) الأخبار الطوال ص : ٣٤٧ .

(٢٢٢) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

(٢٢٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٩ .

(٢٢٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣١ .

تصوير انغماسه فى اللهو ، وأبرزوه ، وجعلوه المحور الذى دارت عليه حياته . وكان اليعقوبى أول من وصفه منهم بأنه صاحبُ مَلاهٍ وقيانٍ »[٢٢٥] . ثم تَوَسَّع المؤرخون والأدباء من الشيعة فى تَتَبُّع أخبار غرامه بالمغنين والمضحكين ، فجمعوها وأظهروها ، وحملوا عن الرواة من اليمنيين وموالى العباسيين وصنائعهم كل ما أضافوه إليها ، وأقحموه فيها من أوصافٍ خُرافيةٍ لطربه وفكاهاته ومعابثاته ، وزادوا عليها حكمهم عليه حكماً قاطعاً بالفسوق والانسلاخ من الدين ، فعل ذلك منهم المسعودى[٢٢٦] ، وأبو الفرج[٢٢٧] ، والشريف المرتضى[٢٢٨] ، وابن الطقطقى[٢٢٩] . ولكن أبا الفرج هو الذى عُنِىَ منهم عناية فائقة بأخبار المغنين والمُسَلِّين الذين عرفهم الوليد واستمع إلى غنائهم ودُعَاباتهم خلال ولايته للعهد ، وفى أيام خلافته ، وسردها سردًا مسهباً ، وساق فى ثناياها كثيراً من المجانات والأقوال الفاحشة التى نُسِبَ إليه أنه كان يتبادلها مع مغنيه ومضحكيه ، ولم يتوقَّر عن ذكر السخافات والبذاءات المنحولة عليه . وصحيح أنه ألّف كتاب الأغانى فى الأصوات المشهورة التى كان يُتَغَنَّى بها فى الجاهلية والإسلام ، مما يقضى أن يتميز من غيره من المؤلفين فى استقصاء أخبار المغنين ، ولكنه كان متعصباً على الوليد تعصباً شديداً ، يوضحه قوله فى فاتحة ترجمته له : « كان الوليد فاسقاً خليعاً متهماً فى دينه ، مرمياً بالزندقة . وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقتل . وله أشعار كثيرة تدل على خُبْثه وكفره . ومن الناس من ينفى ذلك عنه وينكره ، ويقول : إنَّهُ نُحِلَهُ وأُلصِق إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك »[٢٣٠] .

فهو يجزم ببطالته ، وضعف عقيدته ، وزندقته ، وخروجه من الإسلام جزماً ، ويَدْفَع أقوال غيره من العلماء وأحكامهم التى تخالف رأيه فيه . ومن أجل ذلك فإنه روى كل خبر صحيح وَمُحَرَّفٍ وموضوعٍ مما بلغه من أخبار رعاية الوليد للمغنين والمضحكين ، وبالغ فى نقل الأخبار المفتعلة التى تزرى بلهوه ، وتطعن فى دينه ، مما أخذه عن رواة اليمنيين والعباسيين المتحيزين الذين لا تقبل رواياتهم ، ولا يجوز الاعتماد عليها إلاّ إذا ثبت بعد تمحيصها ونقدها ومقارنتها بغيرها من الروايات الموثقة أنها سليمة خالية من التّحْوير والتغيير . وجاوز ذلك إلى رواية بعض الأخبار المحرفة المفتعلة التى تُضَخِّم عكوف الوليد إلى الغناء والْهَزل ، وتُصَوِّره منقطعاً إلى اللذات ، مُقَدِّما لها على النظر فى أخطر

(٢٢٥) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ .

(٢٢٦) مروج الذهب ٣ : ٢٢٥ .

(٢٢٧) الأغانى ٧ : ٢ .

(٢٢٨) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٨ .

(٢٢٩) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .

(٢٣٠) الأغانى ٧ : ٢ .

قضايا الدولة ، منها هذا الخبر الذى رَوَاهُ عن شيوخه الوضاعين فقال : «أخبرنى عمى قال : حدثنى الكرانى عن النضر بن عمرو عن العتبى قال : لما ظهرت المُسَوِّدَةُ بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمده ، فتشاغل عنه ، فكتب إليه كتاباً ، وكتب فى أسفله يقول :

أرَى خَلَل الرمادِ وَميضَ جَمْرٍ ... وأحْرِ بأنْ يكونَ له ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودَيْنِ تُذْكى ... وإنَّ الحربَ مَبْدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجب : ليت شِعْرى ... أأيقاظٌ أميةُ أمْ نِيامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتك خراسان ، فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنى مشغول عنك بابن سُرَيج ومعبد والغريض »[٢٣١] .

ويَكْشفُ عن اختراع الخبر أن أنصار الدعوة العباسية من المسودة إنما أعلن أبو مسلم الخراسانى أمرهم بمرو الشاهجان عاصمة خراسان سنة تسع وعشرين ومائة ، فى أثناء استعار الفتنة بين اليمنية والمضرية[٢٣٢] ، والوليد قد اغتيل قبل هذا التاريخ سنة ست وعشرين ومائة .

ويكشف عن اختراعه أيضاً أن اثنين من المغنين الذى يشار إلى أن الوليد كان مشغولا بهم ماتا قبل خلافة الوليد كما ذكر ذلك أبو الفرج نفسه فى ترجمته لهما ، فقد توفى الغريض فى أيام سليمان ابن عبد الملك[٢٣٣] ، وتوفى ابن سريج فى أيام هشام بن عبد الملك[٢٣٤] ، أما معبد فمات لعهد الوليد[٢٣٥] .

والخبر بُرمَّته مُوَلَّدٌ مشتق من خبر آخر لا يتصل بأيام الوليد ولا بطلبه للغناء وانغماسه فيه ، بل يتصل بأيام مروان بن محمد – وبداية ظهور دعاة العباسيين بخراسان ، وتأليبهم الناس بها على الأمويين ، واجتذابهم المتذمرين منهم إلى صفوف شيعة العباسيين ، ونَصُّ الخبر كما رواه الطبرى هو : كتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد يعلمه حال أبى مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تَبِعَهُ ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، وكتب بأبيات شعر :

أرَى بينَ الرَّمادِ وميضَ جَمْرٍ ... فأَحْرِ بأنْ يكونَ له ضِرامُ
فإنَّ النارَ بالعُودَيْن تُذْكى ... وإنَّ الحربَ مَبْدَؤُها الكلامُ
فقلتُ مِنَ التَّعَجُّبِ : ليت شِعْرِى ... أأيقاظٌ أمية أمْ نِيامُ !

(٢٣١) الأغانى ٧ : ٥٦ .
(٢٣٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .
(٢٣٣) الأغانى ٢ : ٣٩٩ .
(٢٣٤) الأغانى ١ : ٢٥٤ .
(٢٣٥) الأغانى ١ : ٣٦ .

فكتب إليه : الشاهد يرى مالا يرى الغائب ، فاحْسِم الدُّوْلولَ قِبَلك »[٢٣٦] . وروى الخبر بنصه . أو بمعناه دون لفظه أبو حنيفة الدينورى[٢٣٧] ، وابن عبد ربه[٢٣٨] ، والمسعودى[٢٣٩] ، وابن الأثير[٢٤٠] ، وابن كثير[٢٤١] .

وكان العلماء والمؤرخون اللاحقون الآخذون بمناهج المحدثين هم أكثر من اغْتَرَّ بالأباطيل التى افْتَعَلها على الوليد رُواة اليمنيين وموالى العباسيين وأنصارهم ، ومؤرخو الشيعة وأدباؤهم ، وأقوى من تابعهم فى حملتهم عليه ، فقد ارتضوا كل ما وصل إليهم من أخبار تقطع بِتَهتُّكِ الوليد وتَعَهُّره . وبزندقته وكفره . وكان المعافى بن زكريا الجريرى الفقيه القاضِى المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة[٢٤٢] أشهر من قبل ذلك منهم ، فَنَقَّب عنه فى كتبهم ، واستخرجه منها ، وصَنَّفه فى كتاب نقل بعض نصوصه الخبيثة ، وأحكامه المتعسفة ابن عساكر[٢٤٣] ، والذهبى[٢٤٤] ، وابن كثير[٢٤٥] . والسيوطى[٢٤٦] . واخدع بها وبغيرها من الأخبار الموضوعة السابقة سائر المؤرخين المتأخرين مثل المقدسى[٢٤٧] ، وابن الأثير[٢٤٨] ، وابن شاكر الكتبى[٢٤٩] ، وابن العماد الحنبلى[٢٥٠] . ولم يشك فيها ولا نجا من التأثُّر بها إلاَّ أبو الفداء[٢٥١] ، والقلقشندى[٢٥٢] ، واليافعى[٢٥٣] ، فإنهم جميعاً أعرضوا

---

(٢٣٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .

(٢٣٧) الأخبار الطوال ص : ٣٥٧ .

(٢٣٨) العقد الفريد ٤ : ٤٧٧ .

(٢٣٩) مروج الذهب ٣ : ٢٥٥ .

(٢٤٠) الكامل فى التاريخ ٥ : ٣٦٥ .

(٢٤١) البداية والنهاية ١٠ : ٣٢ .

(٢٤٢) ترجمته فى تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٠ ، وطبقات الفقهاء للشيرازى ص : ٩٣ ، وابناه الرواه ٣ : ٢٩٦ ، والكامل فى التاريخ ٩ : ١٦٣ ، ومعجم الأدباء ٧ : ١٦٢ ، ووفيات الأعيان ٥ : ٢٢١ ، ومرآة الجنان ٢ : ٤٤٣ ، والبداية والنهاية ١١ : ٣٢٨ ، وشذرات الذهب ٣ : ١٣٤ ، وبغية الوعاة ص : ٣٩٤ .

(٢٤٣) تاريخ دمشق ، مخطوطة للكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة ٤٨١ ظ .

(٢٤٤) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٣ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة بمجمع اللغة العربية بدمشق ، رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس . الورقة : ١١١ ظ .

(٢٤٥) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .

(٢٤٦) تاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

(٢٤٧) البدء والتاريخ ٥ : ٥٣ .

(٢٤٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

(٢٤٩) عيون التواريخ ، مخطوطة للكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .

(٢٥٠) شذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٢٥١) المختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ .

(٢٥٢) مآثر الإناقة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٦ .

(٢٥٣) مرآة الجنان ١ : ٢٦٤ .

عن ذكر أكثر ما نُحِل عَليه من الأخبار الفاحشة إعراضاً ، ورفضوا أغلب ما أطلق عليه من الأحكام الفاسدة رفضاً .

والبلاذرى هو أهم من أشار من مؤرخى القرن الثالث عشر المحايدين إلى إقبال الوليد على المغنين والمضحكين ، وروى كثيراً من أخبار احتفائه بهم . ولما يتصف به البلاذرى من الدقة والموضوعية ، فإن رواياته الصحيحة غير المحرفة التى أخذها عن أستاذه المدائنى ، وعن غيره من الإخباريين تصلح لأن تكون أساساً لتقويم اهتمام الوليد بالمغنين والمضحكين ، ومقياساً لاختبار روايات سواه من المؤرخين والأدباء المتميزين ، وتَبيُّن ما داخلها بتعاقب الرواة عليها من توليد وتزييف وتزيد .

ويستشف من جملة الأخبار التى حملها البلاذرى أن عكوف الوليد على المطربين والْمُلْهِينَ يبدو طبيعياً ملائماً لما أحرزته المجتمعات الأموية المدنية فى مطلع القرن الثانى من التحرر الاجتماعى ، والتطور الحضارى .

ويستشف منها أيضاً سَبْقُ الوليد لغيره من الخلفاء والأمراء الأمويين المتقدمين فى فتنته بالغناء والهزل واللهو ، وانهماكه فيها ، وَتَطرُّفِهِ فى التَّعَلُّق بها . وهو تطرف يُسَوِّغه ازدهار الغناء فى مدن الحجاز والعراق والشام لعصره ، وتسوغه ظروف حياته الخاصة ، بما طوى فيها من رخاءٍ وشدةٍ ، ودعةٍ وحرمانٍ ، وأملٍ ويأسٍ ، وكيدٍ وتحدٍّ للكيد .

وأهم ما تؤكده الأخبار التى حملها البلاذرى أن الوليد كان كغيره من الخلفاء الأمويين يَتَستَّرُ على طلبه للغناء فى خلافته ، صيانة لنفسه ، وحمايةً لمنصبه ، وَمُداراةً للعامة ، وتسكيناً لمشاعرهم ، ومراعاة لما يفترضونه فى الخليفة من وقار وجلالٍ ، كما تؤكد أنه كان يعاقب من يأتيه من المغنين فى وضح النهار ، مخالفاً لإرادته فى التكتم على لهوه ، يدل على ذلك قول البلاذرى : « بعث الوليد إلى المدينة ، فحمل إليه المغنون ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا المعسكر ليلاً كراهة أن يراهم الناس . فأقاموا حتى أمسوا غير محمد بن عائشة ، فإنه دخل نهاراً ، فغضب الوليد عليه ، وأمر بحبسه »[٢٥٤] .

وفى تضاعيف الأخبار المحرفة التى نقلها أبو الفرج[٢٥٥] وغيره من المؤرخين إشارات عديدة تدعم ما ذكره البلاذرى من حرص الوليد على إخفاء صلاته بالمغنين ، وتشدده فى تحذيرهم وإنذارهم وتهديدهم بأليم العذاب والإعدام إذا هم باحو بأسراره ، وأذاعوا ما رأوا من أمره[٢٥٦] .

---

(٢٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ .

(٢٥٥) الأغانى ١ : ٥٥ ، ٣ : ٣٠٩ ، ٩ : ٢٧٥ .

(٢٥٦) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ جـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

٣ - الوليد والخمر والمجون

كان شرب الخمر فى الجاهلية مَظْهَرًا من مظاهر الفتوة والفروسية . ولما جاء الإسلام نهى عنه على مراحل . ثم حَرَّمه تَحْرِيماً . واستجاب كثير من العرب والمسلمين لعهد الرسول والخلفاء الراشدين لتحريم الخمر . ولكن ظل نفر منهم يتعاطونها سِرًّا . لغلبة الروح الجاهلية عليهم . وضعف الوازع الدينى عندهم . وتحررهم فى حياتهم الاجتماعية . واختلاف الصحابة والتابعين فى تحليل الأنبذة وتحريمها[٢٥٧] . وكان من يعاقر الخمر جهراً يعاقب عقاباً صارماً . وقد أورد بعض القدماء إحصاء بمن حُدُّوا فى الخمر من أبناء الخلفاء والأمراء والأشراف والشعراء[٢٥٨] .

ولا تنقضى فترة صدر الإسلام . ويبدأ العصر الأموى . ويتطاول حتى يستقر العرب فى البيئات التى فتحوها ونزلوا بها . وتتطور حياتهم . وتنفسح أمامهم مجالات اللهو . وتتنوع أسباب المتعة . لامتزاجهم بالعناصر الأجنبية . ووفرة ما أحرزوا من الثروة . فَيَنْدَفِعُ بعضهم فى الاستمتاع بالملذات . ويتعاطون الأنبذة . ويعاقر نَفَرٌ منهم الخمر . وكان مما أغراهم بها بجانب تحضرهم وثرائهم واختلاطهم بالأمم الأخرى استمرار اختلاف الفقهاء فى منع شرب الأنبذة[٢٥٩] . إذ كان المتشددون من الفقهاء يحرمون كافة الأنبذة مهما كانت أصنافها وأوصافها . وكان المعتدلون منهم فى الحجاز والعراق يُحَلِّلون بعض الأنبذة[٢٦٠] . وكان أبو حنيفة فَقِيهُ أهل الكوفة ممن رَخَّصوا بشرب النبيذ[٢٦١] . واستند فى ترخيصه به إلى رأى ابن مسعود أستاذ مدرسة الكوفة فى الفقه[٢٦٢] . الذى اتخذه عامة التابعين من الكوفيين حُجَّةً لهم[٢٦٣] . والذى وجَدَ فيه عُشَّاق الأنبذة مخرجاً من الحرج والإثم . فعكفوا على الأنبذة فى البيئات الأموية المتعددة . ففى مدن الحجاز وبوادى نجد أدمن النبيذ كثيرون . وتقدم أهل المدينة[٢٦٤] فى إدمانه أهل مكة[٢٦٥] . إذ أقيمت فى بلدهم بيوت القيان .

(٢٥٧) ضحى الإسلام ١ : ١١٩ .

(٢٥٨) كتاب الأشربة ص : ٣١ ، ٤٥ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٤٨ ، ونهاية الأدب ٤ : ٩٠ .

(٢٥٩) كتاب الأشربة ص : ٢٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥١ ، ٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ونهاية الأدب ٤ : ٨٢ .

(٢٦٠) كتاب الأشربة ص : ٨٩ ، ٩٥ .

(٢٦١) كتاب الأشربة ص : ٥٥ .

(٢٦٢) ضحى الإسلام ١ : ١١٩ ، وحياة الشعر فى الكوفة ص : ٢٢٠ ، والعقيدة والشريعة ص : ٦١ .

(٢٦٣) كتاب الأشربة ص : ٢١ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٦٨ .

(٢٦٤) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعهد بنى أمية ص : ٥٣ .

(٢٦٥) العصر الإسلامى ص : ٣٧٧ .

وحانات الشراب . وشاعت بأخرة من العصر الأموى شيوعاً واسعاً . فكان بالمدينة نَبّاذُون مثل ابن حَوْنَك[٢٦٦] . ومقينون مثل يحيى بن نُفَيْس[٢٦٧] وحماد بن عمران الطُّلَيْحى[٢٦٨] وغيرهما[٢٦٩] . يشترون الإماء ويؤدبونهن ويعرضونهن للشباب فى ملاهيهم ونواديهم . فكن يطفن عليهم يسقينهم ويغازلنهم .

وأدمن الشراب من أهل المدينة عبد الرحمن بن أرطاة ، وحُدَّ فيه مراراً[٢٧٠] وأدمنه عبد الرحمن بن الحكم[٢٧١] ، والوليد بن عثمان[٢٧٢] ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان[٢٧٣] والسرى ابن عبد الرحمن الأنصارى ، وكان أحد الغزلين والفتيان والمنادمين على الشراب ، كان هو وعُتَيْر بن سهل ، وجُبَيْر بن أيْمَن . وخالد بن أيوب الأنصارى يتنادمون[٢٧٤] . وعاقره من شعراء المدينة من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية إبراهيم بن هرمة[٢٧٥] . وابن الخياط[٢٧٦] . وابن أبى الزوائد[٢٧٧] وآدم ابن عبد العزيز[٢٧٨] . وباراهم فى معاقرته من شعراء نجد البدويين ابن ميادة[٢٧٩] . وجعفر بن عُلْبَةَ الحارثى[٢٨٠] .

وانتشرت حانات الشراب بالبصرة[٢٨١] . وأمَّها الناس على تفاوت طبقاتهم[٢٨٢] . وأسرف فى

---

(٢٦٦) الأغانى ٤ : ٣٧٣ .

(٢٦٧) الأغانى ١٥ : ٢٧ .

(٢٦٨) الأغانى ١٤ : ١٢٣ .

(٢٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ و .

(٢٧٠) الأغانى ٢ : ٢٤٣ .

(٢٧١) الأغانى ٢ : ٢٥١ .

(٢٧٢) الأغانى ٢ : ٢٤٧ .

(٢٧٣) الأغانى ٢ : ٢٤٨ .

(٢٧٤) الأغانى ٢٠ : ١٩٨ .

(٢٧٥) كتاب الأشربة ص : ٢٨ ، والأغانى ٤ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ، ٣٩٧ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١١٨ .

(٢٧٦) الأغانى ٢٠ : ٧ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٣١٢ .

(٢٧٧) الأغانى ١٤ : ١٢٧ .

(٢٧٨) الأغانى ١٥ : ٢٨٧ .

(٢٧٩) البيان والتبين ٣ : ٢٠٨ ، والحيوان ٢ : ٣٣٧ ، وكتاب الأشربة ص : ٦٨ ، والأغانى ٢ : ٣٢١ .

(٢٨٠) الأغانى ١٣ : ٤٥ .

(٢٨١) الأغانى ١٤ : ١٧ .

(٢٨٢) الجاحظ فى البصرة ص : ٣٤٢ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٨٧ .

الشراب من شعراء البصرة الأمويين الفرزدق[٢٨٣] ، وسُحَيْمُ بن وَثيلٍ الرياحى[٢٨٤] ، وحارثة بن بدر الغدانى[٢٨٥] ، والسَّرادقُ الذهلى[٢٨٦] ، وانهمك فيه من شعراء البصرة من مخضرمى الدولتين أبو حية النُّمَيْرى[٢٨٧] وبشار بن برد[٢٨٨] .

وكان الإقبال على الشراب فى الكوفة أشد . إذ عمت بها بيوت القيان واللهو[٢٨٩] . كبيت أبى الأصبغ[٢٩٠] . وبيت ابن رامين[٢٩١] . وبيت عبد الله بن هلال الهجرى الحميرى المعروف بصديق إبليس[٢٩٢] . وهى بيوت كان يتردد عليها الفتيان والظرفاء والأدباء . يَمْجُنون ويَشْرَبُون . ولم يكن أحد من الكوفيين يُحَرِّمُ النبيذ غير عبد الله بن إدريس . وهو من خيار أهل الكوفة . وكان معيباً بذلك[٢٩٣] . وشط فى العبث والقصف . وأفرط فى الشراب من شعراء الكوفة الأمويين الأقيشر الأسدى[٢٩٤] وعمار ذو كناز[٢٩٥] . وأغرق فيه من شعراء الكوفة من مخضرمى الدولتين أبو دلامة[٢٩٦] . وإسماعيل بن عمار[٢٩٧] . وحماد عجرد[٢٩٨] . ومطيع بن إياس[٢٩٩] . ويحيى بن زياد

---

(٢٨٣) العقد الفريد ٦ : ٣٣٥ ، والأغانى ٢١ : ٣٦٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١١٧ .

(٢٨٤) طبقات فحول الشعراء ص : ٤٨٩ .

(٢٨٥) كتاب الأشربة ص : ٢٨ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ٣٨٠ ، ومعجم البلدان ٢ : ٦٣٩ .

(٢٨٦) الشعر والشعراء ص : ٦٩٠ .

(٢٨٧) الأغانى ١٦ : ٣١٠ .

(٢٨٨) الأغانى ٣ : ٢٣٥ ، وديوانه ٢ : ١٣٠ .

(٢٨٩) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٢١٩ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ١٠٢ ، واتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١١٥ .

(٢٩٠) الأغانى ١٣ : ٣٢٧ ، والديارات ص : ٢٥٤ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ٧٣ .

(٢٩١) الأغانى ١٥ : ٦٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ٨٣ .

(٢٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ ، ٣٢٤ ، والأغانى ١ : ١٥٣ .

(٢٩٣) كتاب الأشربة ص : ٥٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٧١ .

(٢٩٤) الشعر والشعراء ص : ٥٦٠ ، والأغانى ١١ : ٢٥٣ .

(٢٩٥) الأغانى ٢٤ : ٢٢٠ .

(٢٩٦) الشعر والشعراء ص : ٧٧٦ ، والأغانى ١٠ : ٢٣٥ ، والمؤتلف والمختلف ص : ١٩٢ ، وتاريخ بغداد ٨ : ٤٨٨ ، وطبقات ابن المعتز ص : ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢٠ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٣٢٠ ، ومرآة الجنان ١ : ٣٤١ ، وشذرات الذهب ١ : ٢٤٩ .

(٢٩٧) الأغانى ١٤ : ٣٦٦ .

(٢٩٨) الأغانى ١٤ : ٣٢١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٤٢٤ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٣ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢١٠ .

(٢٩٩) طبقات ابن المعتز ص : ٩٤ ، والأغانى ١٣ : ٢٧٦ ، وتاريخ ١٣ : ٢٢٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٤٢ ، والديارات ص : ٢٥٠ ، وخزانة الأدب ٤ : ٢٨٦ .

الحارثى[٣٠٠] . وشراعة بن الزندبود[٣٠١] . وغيرهم ممن انتظموا فى عصابات . ولجوا فى التحلل والإباحة حتى رموا بالزندقة[٣٠٢] .

وفشت دور القيان واللهو فى بلدان المشرق كأصبهان وسجستان وخراسان . وكَلِفَ غير قليل من الولاة والمقاتلة بالشراب . فقد تهالك على الأنبذة مالك بن أسماء الفزارى . والى أصبهان للحجاج[٣٠٣] . وعاقرها بسجستان أبو جلدة اليشكرى . وكان يعربد عربدةً شديدةً[٣٠٤] . ولم يسرف الجنود فى بلد من بلدان المشرق فى شرب الأنبذة كإسرافهم فى خراسان . إذ فازوا بالأموال الطائلة . والغنائم الحائلة من غزواتهم فى بلاد الترك . وفتوحاتهم بها[٣٠٥] . وكانوا يعانون آلام التجمير . ومرارة الاغتراب . ووطأة الحروب . فكانوا إذا أصابوا فُسْحةً من الراحة فى حروبهم مع الترك يقبلون على شرب الأنبذة . فيعبثون ويعيثون ويفسدون . مما كان يضطر قادتهم إلى محاسبتهم وكسر آنيتهم[٣٠٦] ، ويبدو أنهم تَطَرَّفوا فى تَحَسِّيها حتى إن وكيع بن أبى سود التميمى حين ولى خراسان بعد مقتل قتيبة بن مسلم الباهلى لم يعاقب السكارى من الجنود بِضَرْبِهم الحَدَّ . بل بِقَتْلِهم بالسَّيْف[٣٠٧] . واشتهر بإدمان الشراب من الشعراء الفرسان بخراسان الشَّمَرْدَلُ بن شَرِيكٍ التميمى . إذ كان مغرماً بالشراب . وكان له نديمان يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان أحدهما يقال له : دَيْكَلٌ . من قومه . والآخر من بنى شيبان يقال له : قبيصة[٣٠٨] . واشتهر به أيضا أبو الهندى التميمى . وهو خير مثال للشاعر المقاتل الذى قطع دهره . وأفنى عمره فى مواخير الخمارين بخراسان وسجستان . واستفرغ شعره فى وصف الخمر[٣٠٩] .

وتندر الأخبار عن موقف أهل الشام من الشراب . ومدى إقبالهم عليه . ويستخلص من بعض

---

(٣٠٠) الأغانى ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤ : ٣٣٣ .

(٣٠١) الأغانى ٧ : ٤٩ ، ١٥ : ٧١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٩٧ .

(٣٠٢) الأغانى ٦ : ٧٤ ، ١٣ : ٢٧٩ ، ١٤ : ٣٢٢ .

(٣٠٣) الشعر والشعراء ص : ٧٨٢ ، والأغانى ٢٠ : ٢٣٠ .

(٣٠٤) الأغانى ١١ : ٣١٧ .

(٣٠٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٣١ ، ٤٣٢ .

(٣٠٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٦٣ .

(٣٠٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٠٩ .

(٣٠٨) الأغانى ١٣ : ٣٥٧ .

(٣٠٩) كتاب الأشربة ص : ٦١ ، والشعر والشعراء : ٦٨٢ ، وطبقات ابن المعتز ص : ١٣٦ ، والكامل ، للمبرد ٣ : ٤٢ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٤٣ ، والأغانى ٢٠ : ٣٢٩ ، وسمط اللآلى ص : ١٦٨ ، ومسالك الأبصار ١ : ٣٨٩ ، وفوات الوفيات ٢ : ٢٤٠ ، وقطب السرور فى أوصاف الخمور ص : ١٢٣ .

النصوص القليلة أنهم كانوا يشربون نوعاً من النبيذ أباحه لهم خلفاؤهم منذ وقت مبكر، على نحو ما يتضح فى كتاب معاوية بن أبى سفيان إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة، حين جَلَد عبد الرحمن بن سيحان حليف أبى سفيان ثمانين سوطاً فى الشراب، فقد كتب إليه: «أما بعد، فإنك ضربت عبد الرحمن فى نبيذ أهل الشام الذى يستعملونه. وليس بحرام»[٣١٠].

ومن المُرَجَّح أنَّ أهل الشام شربوا النبيذ كما شَرِبَهُ الناس فى البيئات الأخرى. دفعهم إلى ذلك أن أول خلفاء بنى أمية صَرَّح لهم به. وأنهم اغتنوا وتَنَعَّموا. فقد كانت دمشق حاضرة الدولة التى تفيض عليها الأموال من كل قطر. فتوزع فى أهل الشام. ثم فى أهل الأمصار. ودفعهم إليه أن بلاد الشام كانت عامرة بالأديرة[٣١١]. فأغرتهم أجواؤها باللهو والشراب. فكان الناس يخرجون إليها. وَيَتَنَزَّهُون ببساتينها. وكان بعض أبناء الخلفاء الأمويين يزورونها. ويشربون فيها[٣١٢]. وكان الشعراء الظرفاء كمالك بن أسماء الفزارى ينزلونها. ويَمْجُنون بها[٣١٣].

فَشُرْبُ الأنبذة شاع بين الناس فى البيئات الأموية. وتفاقم فى آخر القرن الأوَّل. ويظهر أنَّ نفراً من الناس فى بعض الأمصار عاقر الأشربة المحرمة. مما حدا بعمر بن عبد العزيز أن يُوَجِّه إلى أهل الأمصار رسالة يحذرهم فيها من تعاطى الخمر الممنوعة. ويُرَخِّصُ لهم بشرب الأنبذة التى أحلها الله من العَسَل والسويق. والنبيذ من الزبيب والتمر[٣١٤]. ولا يوشك العصر الأموى على الانتهاء حتى يستفحل ولع الناس بالأنبذة. ويفرطون فى تعاطيها.

ويُشَاكِلُ كَلَفُ الخلفاء الأمويين بالأنبذة كلف أهل الأمصار بها. ويسايره فى اطراده وازدياده مسايرةً واضحة. فقد كان متقدموهم يشربون النبيذ بمقدار. ثم استكثر منه خالفوهم. وأدْمَنَهُ بعضُ متأخريهم. فكان معاوية فيما يبدو يشرب نَبِيذَ أهل الشام الذى يستعملونه. والذى أحله لهم[٣١٥]. أما ابنه يزيد فَتَظْهَرُه الرواياتُ الشيعية والعباسية[٣١٦] مُسْرِفاً فى معاقرة الشراب إسرافاً

---

(٣١٠) الأغانى ٢ : ٢٥١.

(٣١١) معجم البلدان ٢ : ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٧، ٦٦٠، ٦٦٤، ٦٦٦، ٦٧٣، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٥.

(٣١٢) معجم البلدان ٢ : ٦٣٩، ٦٦٢، ٦٩٧.

(٣١٣) البيان والتبيين ١ : ١٣٥، والشعر والشعراء ص : ٦٨٢، والأغانى ١٧ : ٢٢٩، ٢٣٦، ومعجم الشعراء ص : ٢٦٦، وسمط اللآلى ص : ١٦، ومعجم البلدان ١ : ٨٦٥.

(٣١٤) كتاب الأشربة ص : ٣٦، والعقد الفريد ٦ : ٢٥٩.

(٣١٥) الأغانى ٢ : ٢٥١.

(٣١٦) أنساب الأشراف ٤ : ١. تاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٢٠. وكتاب الأشربة ص : ٣٣. والإمامة والسياسة ١ : ١٨١. والعقد الفريد ٦ : ٣٤٨. والأغانى ١٥ : ٢٩١. ومروج الذهب ٣ : ٧٧.

شديداً . وأنشد له الرواة أشعاراً خمريةً كثيرةً بعضها مَنْحُولٌ له . لما فيه من صَنْعَةٍ بَديعيَّةٍ تدل على أنه وُضِعَ عليه وأُلْصِقَ به فى أواخر العهد العباسى حين بالغ الناس فى الصنعة اللفظية [٣١٧]. وكان عبد الملك بن مروان يُسَمَّى حمامة المسجد لاجتهاده فى العبادة قبل الخلافة . فلما أفْضَتْ إليه شَرِبَ الطلاء [٣١٨] وكان الوليد بن عبد الملك يحتسى النبيذ [٣١٩] . واحتساه أيضاً يزيد بن عبد الملك [٣٢٠] . ومع أن أكثر المؤرخين لم ينقلوا أن يزيد غَلا فى شرب الخمر بل أشاروا إلى أنه أفرط فى سماع الغناء . والاستمتاع بالإماء . فإن المسعودى [٣٢٢] . وأبا الفرج [٣٢٣] . والمقدسى [٣٢٣] . وابن العماد الجنبلى [٣٢٤] يصفونه بالإغراق فى الشراب . وخلط النواجى [٣٢٥] بين أخباره وأخبار هشام . إذ عَزَا خَبَرَ استقدام هشام لحماد الراوية . واستنشاده له بعض شعر عدى بن زيد الخمرى ! .

وَبَرَّأَ أبو الفرج هشام بن عبد الملك من معاقرة الشراب . ومن السماح لأحَدٍ بمعاقرته فى مجلسه . إذ يقول مُعَقِّباً على خبر استزارته لحماد الراوية [٣٢٦] وما جاء فيه من أنه سقاه خمراً : « هذا لفظ حماد ابن إسحق عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عبيد فى خبره : إنه سقاه شيئًا . وهذا هو الصحيح . لأن هشاماً لم يكن يشرب . ولا يسقى أحداً بحضرته مسكراً . وكان يُنْكِرُ ذلك . ويعيبه ويعاقب عليه » [٣٢٧] وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك يصيب قسطا من النبيذ [٣٢٨] .

وَحَمَل صاحب كتاب التاج أخباراً كثيرة عن تعاطى الخلفاء الأمويين للشراب . واتَّهمهم جميعاً بمعاقرة الخمر ! فقد وصف يزيد بن معاوية بأنه صاحب خمور لا يُمْسى إلَّا سكران . ولا يُصْبحُ إلاَّ مخمورًا » [٣٢٩] ! وقرف عبد الملك بن مروان بأنه كان يسكر فى كل شهر مرة حتى لا يعقل فى السماء

---

(٣١٧) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ١٢٣ .

(٣١٨) كتاب الأشربة ص : ٣٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥٠ ، ونهاية الأرب ٤ : ٩٢ .

(٣١٩) نهاية الأرب ٤ : ٨٥ .

(٣٢٠) نهاية الأرب ٤ : ٩٢ .

(٣٢١) مروج الذهب ٣ : ٢٠٨ .

(٣٢٢) الأغانى ١٥ : ١٢٨ .

(٣٢٣) البدء والتاريخ ٦ : ٤٨ .

(٣٢٤) شذرات الذهب ١ : ١٢٨ .

(٣٢٥) حلبة الكيت ص : ٦٠ .

(٣٢٦) الخبر فى الأغانى ٦ : ٧٥ ، ونزهة الألبا ص : ٣٨ ، ومعجم الأدباء ٤ : ١٣٨ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ ، وخزانة الأدب ٤ : ١٣٠ .

(٣٢٧) الأغانى ٦ : ٧٧ ، وانظر وفيات الأعيان ٢ : ٢٠٧ .

(٣٢٨) العقد الفريد ٦ : ٣٣٨ .

(٣٢٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥١ .

هو أم فى الماء . ويقول إنما أقصد فى هذا إلى إشراق العقل . وتقوية مُنَّةِ الْحِفظِ . وتَصْفِية مَوْضِعِ الفكر[٣٣٠] ! وزعم أن الوليد بن عبد الملك كان يشرب يوماً ويَدَعُ يومًا . وأن سليمان كان يشرب فى كُلِّ ثلاثِ ليالٍ ليلة . وأنَّ عمر بن عبد العزيز لم يشرب منذ أَفَضَتْ إليه الخلافة إلى أنْ فَارَقَ الدنيا[٣٣١] . وادَّعى أن يزيد بن عبد الملك أدْمَنَ الخمر . وأنه لم يكن أحدٌ من الخلفاء الأمويين فى مثل حاله فى المجون والرَّفَث والتَّجَرُّدِ بِحَضْرةِ النُّدماء[٣٣٢] . وأضاف أنه سَوَّى بين الطبقة العُلْيَا والسُّفْلَى من النُّدماء . وأفسد أقسام المراتب . وغلب عليه اللهو . واستخف بآبين المملكة . وأذن للندماء فى الكلام والضحك والهزل فى مجلسه والرد عليه[٣٣٣]

واتَّهَمَ هشاماً بأنه كان يسكر كل جمعة [٣٣٤] ! وقال إن يزيد بن الوليد ابن عبد الملك كان يُدْمِنُ الشراب واللهو ، وكان دَهْرَه بين حالين : بين سُكْرٍ وخُمَارٍ ، ولا يوجد إلاَّ ومعه إحدى هاتين[٣٣٥] ! أما مروان بن محمد فذهب إلى أنه كان يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت[٣٣٦] .

وهى أخبار فيها مبالغةٌ وافتعالٌ كثير . كما أن بعضها يناقض المألوف من أخبار عبد الملك ابن مروان ، وهشام بن عبد الملك . ويزيد بن الوليد بن عبد الملك . وما ذكره المؤرخون من تَدَيُّنهم[٣٣٧] . والغالب أن صاحب كتاب التاج من الشعوبية الذين امتلأت قلوبهم حقدًا على العروبة والإسلام[٣٣٨] . فاتهم الخلفاء الأمويين والعباسيين[٣٣٩] بارتكاب الآثام . وكان من معاصرى الجاحظ الذى تَصدَّى للشعوبية وحاربهم . فنسب كتاب التاج إليه . ليشيع وينتشر . ويكون أكثر تشهيرًا بالعرب المسلمين . وأشد طعْناً فى خلفائهم ودولتهم !

وينفرد الوليد بن يزيد من سائر الخلفاء الأمويين بِشُرْبِ الخمر وإدْمانِها إدماناً اعْتَرفَ به فى

---

(٣٣٠) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥١ .
(٣٣١) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٢) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٢ .
(٣٣٣) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٠ .
(٣٣٤) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٥) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٦) التاج فى أخلاق الملوك ص : ١٥٢ .
(٣٣٧) الطبقات الكبرى ٥ : ٢٣٤ ، وفوات الوفيات ٢ : ٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، ٢٣٢ .
(٣٣٨) ضحى الإسلام ١ : ٢٧ وما بعدها .
(٣٣٩) التاج فى أخلاق الملوك ص : ٣٣-٤٣ ، ١٥٢-١٥٣ .

سعره[٣٤٠] . وأجمع عليه كل من ترجموا له[٣٤١] . واحتفل بمجالس خمره وأنسه . فكانت تطفح بالوصيفات والوصفاء[٣٤٢] . والندماء الظرفاء من الكوفيين[٣٤٣] والدمشقيين[٣٤٤] . وأغرم بأوعية الخمر النفيسة . فكان يشرب فى كؤوس ذهبية[٣٤٥] . وأخرى بلورية[٣٤٦] . وثالثةٍ غريبة الشكل . نادرة المثال[٣٤٧] .

وإنما أساء إليه أنه صَوَّرَ فى شعره الخمر وتعاطيه لها . ونشوته بها . فحمل عليه الرواة الوضاعون أشعاراً ماجنةً ليست له . ونحلوه أشعاراً أخرى مصنوعة تنطق بالكفر والإلحاد والزندقة !

وأَضَرَّ به أن الرواة المتعصبين عليه من موالى هشام بن عبد الملك . ومن موالى العباسيين وأنصارهم من اليمنيين والزبيريين . ومن العباسيين أنفسهم . ومن الشيعة قد عبثوا بأخبار معاقرته للخمر وشَوَّهُوها . وزادوا فيها . وَوَلَّدوا منها أخباراً عجيبة هى أقرب إلى الخيال والأسطورة منها إلى الواقع والحقيقة .

وهو يبدو فى الروايات الصحيحة مُنْضَبِطاً مُتَحَوِّطاً مُتَّزِناً فى شربه أثناء ولايته للعهد وفى أيام خلافته . مما يُؤَيِّده قول الواقدى[٣٤٨] مؤرخ أهل المدينة الموثق العالم بالمغازى والسير

(٣٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، والأغانى ٧ : ١٩ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٤٦ ، ٧٠ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ٩ : ١٣١ ، ٢٧٥ ، ١٦ : ٢٧٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ و ، ٢٢ ظ ، ٢٤ ظ .

(٣٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، والإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ ، والعقد الفريد ٦ : ٣٥١ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٥ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥٣ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، والكامل فى التاريخ . ٥ : ٢٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٥ ، وتاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : [؟] ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ ، ومآثر الإنافة فى معالم الخلافة ١ : ١٥٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

(٣٤٢) الأغانى ٦ : ٨٠ ، ٧ : ٦٧ ، ٢٢ : ١٠١ .

(٣٤٣) الأغانى ١٤ : ٣٣٥ .

(٣٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(٣٤٥) الأغانى ١٣ : ٢٧٨ .

(٣٤٦) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ ، والأغانى ٧ : ٦١ .

(٣٤٧) الأغانى ٦ : ٨٠ .

(٣٤٨) ترجمته فى الطبقات الكبرى ٥ : ٤٢٥ ، والفهرست ص : ٩٨ ، وتاريخ بغداد ٣ : ٣ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٥٥ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٤٨ ، والمعارف ص : ٥١٨ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٦٦٢ ، ونور القبس ص : ٣١١ ، والبداية والنهاية =

والفتوح : « كان الوليد من أشد الناس كَلَفًا بالشراب . وكان يَتَسَتَّر من هشام »[٣٤٩]. وقول مصعب الزبيرى قبل أن يُحَرِّفَه أو يَعْبَثَ به أبو الفرج وشيوخه[٣٥٠] : « كان الوليد يجلس للناس يوم الاثنين بعد أن يَتَغَدَّى ويشرب أرطالاً كثيرة . فما تُرَى منه سَقْطَةٌ حتى يقوم »[٣٥١].

ولكنه يبدو فى أكثر الأخبار سِكِّيراً مُتَهَوِّراً . بل بطلاً خُرافيًّا من أبطال الخمر وعُشَّاقها لا مَثِيلَ لأوعية خَمْرِهِ ، ولا نَظِير له فى شُرْبِهِ وسُكْرِه ! وهى أخبار مزيفة فيما يُرَجِّحه نَقْدُ رواتها ، وفَحْصُ مضمونها . منها قول أبى الفرج : « أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنى عبيد الله بن عمار . قال حدثنى عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشى قال حدثنا العَبّاسُ بن الوليد قال : حَدَّثنا ضَمْرة قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يومًا إلى بعض الديارات فنزل فيه . وهو والٍ على الرملة . فسأل صاحب الدير : هل نزل بك أحد من بنى أمية ؟ قال : نعم . نزل بى الوليد بن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأى شىء صنعا ؟ قال : شربا فى ذلك الموضع . ولقد رأيتهما شربا فى آنيتهما . ثم قال أحدهما لصاحبه : هَلُمَّ نشرب بهذا الجرن – وأومأ إلى جرن عظيم من رخام – قال : أفعل . فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثملا . فقال عبد الوهاب لِمَوْلًى له أسود : هاته . قال ضَمْرَة : وقد رأيته وكان يوصف بالشدة . فذهب يحركه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانه . وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غَيْرَ مُكْتَرِثٍ »[٣٥٢] ! .

فسلسلة رواة الخبر فيها كثيرون لا يطمأن إليهم . ولا يوثق برواياتهم . بعضهم من موالى العباسيين مثل الحسن بن على مولى عبد الصمد الهاشمى . الذى أخذ أبو الفرج عنه كثيراً من الأخبار الملفقة أو المحرفة . وبعضهم من خصوم الوليد . مثل العباس بن الوليد بن عبد الملك . والخبر نفسه إنما سأل عنه فسمعه أو اخترعه وأذاعه عبد الوهاب بن إبراهيم العباسى . ومما يزيد من الشك فيه أنْ ليس فى أخبار الوليد أنه زار الرملة . وما فى الخبر من تهويل دليل آخر على اختراعه . فقد كان الوليد يشرب فى وعاء حجرى ضخم ويدفعه إلى محمد بن سليمان بخفة . وهو وعاءٌ لم يكن فى وسع غيرِهِ من موالى العباسيين مهما أُوتى من القوة أن يزحزحه عن مكانه لثقله ورسوخه !

---

١٠ : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ٢ : ٢١٨ ونشأة علم التاريخ عند العرب ص : ٣٠ ، وضحى الإسلام ٢ : ٣٣٣ .

(٣٤٩) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ . الورقة : ٢٢ ظ .

(٣٥٠) الأغانى ٧ : ٦٠ .

(٣٥١) عيون التواريخ . مخطوطة المكتبى الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

(٣٥٢) الأغانى ٧ : ٢٣ .

وشَبيهٌ بالخبر السابق فى تزييفه وتلفقه خبران رواهما أبو الفرج[٣٥٣] يشيران إلى أن الوليد شيَّد بقصره بركاً أسال الخمر إليها . وكان يَسْبَحُ بها . وكان مستوى الخمر فيها يَهْبِطُ هبوطاً ملحوظاً إذا جَرَع منها !

فالوليد فى هذه الأخبار الْمُفتَعلة المُهَوَّلة ليس من البشر . فإن جَوَفهُ ليس كأجواف غيره من الناس . بل هو أكبر منها حَجْماً . وأكثر سعةً . فكأنه جوف جملٍ أو فيل . وهى أخبار حرَّفها وضَخَّمها شيوخ أبى الفرج من أتباع العباسيين ، ومن اليمنيين تضخيماً شديداً ، فقد أخذ أبو الفرج الخبر الأول عن الحسن بن على مولى عبد الصمد بن على الهاشمى ، وأخذ الخبر الثانى عن محمد بن مزيد الخزاعى ، وهو من الرواة الضعفاء . وللخبر الأول رواية ثانية تَفْضَحُ تحريف الحسن بن على له ، إذ تفيد أن البرك التى بناها الوليد إنما كان يُصَبُّ فيها مَاءَ وَرْدٍ يُمْزَجُ بالمسك والزعفران[٣٥٤] .

ويَمُدُّ النواجى دلالة الخبرين السابقين المُحَرَّفَيْن ويُعَمِّمُها ، إذ يستخلص منها أن دَيْدَنَ الوليد فى شرابه كان أن يَتَعاطى الخمرَ من البرك لا من الأوانى ، فهو يقول : « يحكى عنه أنه كان يَأْمُرُ بالبركة فتملأ خمراً ، ثم ينزع ثيابه ، وينغمس فيها ، ولا يزال يكرع منها بغيه ، وهى تتناقص إلى أن يذهب منها قدر كبير »[٣٥٥] .

ويُقارِبُ الأخبار الثلاثة السالفة فى توليدها واختراعها ما رواه أبو الفرج[٣٥٦] ، والمسعودى[٣٥٧] من أن الوليد شرب الهَفَنْجة . وهو شُرْبٌ كانت الفرس تشربه سبعة أسابيع ، فشرب الوليد تسعةً وأربعين يوماً مُتتالية !

ويَقْدَحُ فى الخبر علاوةً على ما فيه من تهويل أن رَاوِيَهُ الأَوَّلَ نَكِرَةٌ غير مُسَمًّى ولا معروف ، فقد سمعه مصعبٌ الزبيرى عن رجل حَدَّث أباه به فى الكوفة !

وأشد من تلك الأخبار تحريفاً وتشويهاً خبرٌ خامسٌ أورده ابن فضل الله العمرى فقال : « ذكروا أن الوليد بن يزيد خرج مُتَنَزِّهًا فى دير سمعان بنواحى دمشق ، فأقام يَصْطَبِحُ وَيَغْتَبِقُ ، معه ندماؤه ومغنوه . فخرج يوماً غِبَّ سحاب ، فنظر فى صَحْنِ الدير غُدْرانَ ماء ، فاستحسنها فنزل على أكبرها وأكثرها ماء وقال : والله لا أبْرَحُ حتى أشرب هذا كله مزاجاً لكأس ! وشرب حتى نام . فقال بعض أصحابه لبعض : لئن أقام حتى يَفْنَى الغدير طال علينا مقامنا ، فجعلوا يحملون ماءه بالليل ويَصُبُّونه

(٣٥٣) الأغانى ١ : ٥٢ ، ٣٠ : ٣٠٧ .

(٣٥٤) الأغانى ١ : ٥٣ .

(٣٥٥) حلبة الكميت ص : ٩٨ .

(٣٥٦) الأغانى ٧ : ٦١ .

(٣٥٧) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

فى الرمال . فخرج بعد يومين أو ثلاثة ، فنظر إليه وقد فَنِيَ ماؤه ، فقال : أنا أبو العباس ! وأمر بالرحيل إلى دمشق »(٣٥٨) .

والخبر مولد مخترع من خبر آخر رواه البلاذرى عن المدائنى فقال : « وقف الوليد على غدير فأَمَرَ بِضَرْب فسطاط له عليه ، ثم قال : والله لا أبرحه أو يُشْرَبَ جميع مائه ! فجعل الناس ينقلون ماءه بالروايا والقرب حتى نفد . فلما نظر إليه قال : أنا أبو العباس ! وأمر الناس بالرحيل بعد ثلاثة » (٣٥٩).

والفرق بين الخبرين بعيد . فالوليد فى الخبر الثانى القديم الصحيح يود أن ينزل هو وخاصته على غدير ، ولا يفارقه حتى يَنْضُبَ ماؤه . وهو فى الخبر الأول المتأخر المُوَلَّد المخترع قد خرج إلى دير سمعان ، ومكث به أياماً يعاقر الخمر ، وحوله مطربوه ورفاقه ، ثم رأى فى ساحة الدير غديراً كبيراً ، فأقسم أن لا يُزايِلَهُ ويُغَادِرَه إلا إذا خلط ماء بالخمر ، وجرعه كله ! وإنما أفلح أصحابه فى استخراج ماء الغدير حتى جَفَّ ، لأنه سَهَا عنهم ، إذ شرب فنام !

وإذا كان أكثر تلك الأخبار رجاء مضطرباً محورًا فى أصوله المتقدمة ، وأقلها جاء سليماً لا يمت بصلةٍ إلى المجون ، ثم أفسده المؤرخون المتأخرون ، للتشهير بالوليد ، والتدليل على غُلُوِّه وتطرفه فى شربه ، ومخالفته للناس فى طبعه وطاقته ، فثمّة أخبار أخرى وردت سقيمة فى مصادرها الأولى ، تذم الوليد ، وتعيب خلقه ، وتبرهن على خلاعته واستخفافه ، ثم تَوالى عليها المؤرخون والأدباء فزادوها سُقْماً على سقم . منها هذا الخبر الذى رواه أبو الفرج فقال : « أخبرنى الحرمى بن أبى العلاء قال : حدثنى الزبير بن بكار قال : حدثنى عمى مصعب قال : حدثنى رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يوم الاثنين تَغَدَّى وشرب رطلين ثم جلس للناس . قال : فحدثنى عمر الوادى قال : دخلت عليه وعنده أصحابه وقد تغدَّى وهو يشرب ، فقال لى : اشرب فشربت ، وطرب وغَنَّى صوتاً واحداً ، وأخذ دَفَافةً فَدَفَّفَ بها ، فأخذ كل واحد منا دفافة فَدَفَّف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجب ، فلما رآنا الحاجب صاح بالناس : الحَرَمَ الحَرَم ! اخرجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلنى الله فداءك ، اليوم يحضر فيه الناس ، فقال له : اجلس واشرب ، فقال : إنما أنا حاجب فلا تحملنى على الشراب فما شربته قط . قال : اجلس فاشرب ، فامْتَنَعَ ، فما فارقناه حتى صببنا فى حلقه بالقمع وقام وهو سكران »(٣٦٠) .

وما فى الخبر من زراية بالوليد تدعو إلى الاحتراس منه ، وسلسلة رواته تدفع إلى الشك فيه ، فإن

---

(٣٥٨) مسالك الأبصار ١ : ٣٥٢ .

(٣٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٣ ، والأغانى ٧ : ٤٧ .

(٣٦٠) الأغانى ٧ : ٦٠ .

شيخ أبى الفرج أخذه عن الزبير بن بكار ، وسمعه الزبير عن عمه مصعب ، وهما من العلماء الذين يحترس مما يروون من أخبار الوليد ، ولا يُرْتَضَى إلا إذا وَثَّقته روايات العلماء والأثبات المحايدين . ومما يُقَوِّى الحذر من الخبر أنَّ راوِيه الأول الذى نقله مصعب عنه مجهول غير معلوم ، كما أن رِوايَتَهُ لم تتواتر ، إذ لم يحمله أحدٌ من الإخباريين أو المؤرخين إلا المسعودى[٣٦١] ، فإنه أورده موجزاً مختلطاً بخبر آخر .

ومع ما فى الخبر من تهويل وسخرية وغمز لا توافق ما ترجحه الروايات الصحيحة من هدوء الوليد وقلة خروجه عن طوره فى شربه فإن ابن فضل الله العمرى لم يقبل به ، بل أعاد بناءه وتشكيله ، فألَّفه تأليفًا غاية فى الاضطراب والسوء ، إذ يقول : «حكى أن الوليد بن يزيد كان كثير المقام فى دير صليبا بدمشق ، كان يخرج إليه ومعه حُرَمُه استحساناً له ، وأنه كان يجلس فى أيام مقامه فى صَحْنِهِ كل يوم ساعة من النهار ، ثم يأكل ويشرب فى مواضع منه طيبة حسنة . وحَكَى الخالدى عن أحد من كان ينادمه أنه دعا يوما بطعامه ، ودعانى بالغداء معه ، وحضر نُدَماؤُه ، **وكان فيهم حنين المغنى** ، فنحن على المائدة إذ قال له : يا حنين ، غَنِّيْتَنى البارحة فى آخر المجلس ، وقد أخذ الشراب منى ، **بشعر صاحبكم عيسى بن زيد** ، فلم أستكمل الطرب لأجل سكرى ، فأعِدْهُ علىَّ الساعة . فأخذ حنين رقاعه وَوَقَّع عليها وغنى . . فطرب طرباً عظيماً ، وأخذ رقاعه وقام وترك الغداء ، وجعل ينقر عليها مع حنين ، وأخذ كل من على المائدة رقاعه وجعلوا ينقرون عليها مثله ، ومضى يطلب باب الدهليز وحنين والندماء حوله ، والحاجب قد جلس ينتظر جلوسه ، وقد حضر وجوه العرب . فلما رآه الحاجب على تلك الحال صاح بالناس : الحَرَم الحَرَم ! انصرفوا ، فخرجوا ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، وفود العرب تنتظر جلوسك ، وأنت تخرج إليهم على تلك الحال ! فقال : ثكلتك أمك ! ادخل ، ودعا له برطل فَحلَفَ أنه ماذاقه قط فقال : والله لَتَشْرَبَنَّ معى حتى أسكر ، ولم يزل يسقيه حتى مات سُكْراً ، وانصرف محمولاً»[٣٦٢] .

والبَوْنُ شاسعٌ بين الخبرين . فقد حَرَّف ابن فضل الله العمرى الخبر تحريفاً شديداً ، وملأه بالأخطاء والمبالغات ، فهو يذكر أن الوليد لم يكن يشرب بقصره ، بل بدير صليبا ، وأنَّ وفود العرب كانت تقصده به ! ويقول إن المغنى الذى غنى الوليد لم يكن عمر الوادى ، بل حنين الحيرى ، الذى لم يستقدمه الوليد إلى دمشق فيمن استقدم من المغنين ! ويَتَوَهَّمُ أنه غناه بشعر عيسى بن زيد ، يريد عدى بن زيد ! ويَدَّعى أنه لم يُسْكِرْ حاجبه ، بل قَتَلَهُ سُكْراً ! .

---

(٣٦١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .

(٣٦٢) مسالك الأبصار ١ : ٣٤٩ .

ومنها خبر ثانٍ أثبته البلاذرى مُسْنَداً إلى الهيثم بن عدى الطائى الكوفى الوضاع ، فقال : قال الوليد يوماً لشراعة : أسألك عن الأشربة ؟ فقال : سل يا أمير المؤمنين . قال : ما تقول فى الماء ؟ قال : الحياة . ويشركنى فيه البقر والحمير والكلاب . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت ثَدْىَ أمى . قال : فنبيذ التمر ؟ قال : نبيذ الباعة والمجان ومن لا أخلاق له . قال : فنبيذ السكر ؟ قال : الخمر المُنْتِنَة . قال : فنبيذ الزبيب والعَسَل ؟ قال : مَرْعى ولا كالسَّعَدان قال : فالخمر ؟ قال : صديقة روحى ، وحياة نفسى . قال : فعلى أى الوجوه تحب أن تشربها ؟ قال : على وجه السماء »[٣٦٣] .

فالخبر حافلٌ بالهزء المقذع بالوليد . والتحقير اللاذع له . ومع ما فيه من التشنيع عليه ، فإن المؤرخين والأدباء اللاحقين لم يقنعوا به ، بل وَسَّعوه وحَوَّروه ، ودَسُّوا فيه فقراتٍ فاحشة زيادةً فى النيل منه ! فقد رواه ابن عبد ربه[٣٦٤] عن على بن عياش ، ولعله عبد الله بن عياش الهمدانى الكوفى[٣٦٥] ربيب أبى جعفر المنصور ، وشيخ الهيثم بن عدى ، وهو أحد رواة الخبر . ونسخة أبو الفرج[٣٦٦] من كتاب الحسين بن فهم المتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين[٣٦٧] ، وكان أول رواته فى سلسلة السند التى نقلها أبو الفرج من الكتاب هو عمرو بن واقد الدمشقى ، وهو ليس بشىء ، وروايته للحديث والأخبار ضعيفة منكرة متروكة لأنه كان يكذب ، وكذبه مروان بن محمد[٣٦٨] وأورده المسعودى[٣٦٩] ، والنويرى[٣٧٠] والنواجى[٣٧١] دون إسناد ، فقالوا جميعا مع اختلاف يسير فى ألفاظهم : « بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبود ، فلما قدم عليه قال : **يا شراعة إنى لم أستحضرك لأسألك عن العلم ، ولا لأَسْتَفْتِيكَ فى الفقه ، ولا لتُحَدِّثنى ، ولا لِتُقْرِئنى القرآن ! قال : لو سألتنى عن هذا لوجدتنى فيه حماراً** ! قال : فكيف علمك بالفُتْوَّة ؟ قال : أنا ابن بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فَسَلْ عما شئت . قال : فكيف علمك بالأشربة ؟ قال : ليسألنى أمير المؤمنين عما

---

(٣٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٠ .

(٣٦٤) العقد الفريد ٤ : ٤٥٧ ، ٦ : ٣٣٦ .

(٣٦٥) تاريخ بغداد ١٠ : ١٤ ، وميزان الاعتدال ٢ : ٤٧٠ .

(٣٦٦) الأغانى ٧ : ٤٨ .

(٣٦٧) تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٦ .

(٣٦٨) ميزان الاعتدال ٣ : ٢٩١ .

(٣٦٩) مروج الذهب ٣ : ٢٢٦ .

(٣٧٠) نهاية الأدب ٤ : ٩٣ .

(٣٧١) حلبة الكميت ص : ٢٣ .

أحب . قال : ما قولك فى الماء ؟ قال : هو الحياة ، ويشركنى فيه الحمار . قال : فاللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلّا ذكرت أمى فاستحييت . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السادة البارة ، وشراب أهل الجنة . قال : لله درك ! فأى شيء أحسن ما يشرب عليه ؟ قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء ، فى كِنٍّ من الحَرِّ والقُرِّ ، كيف يختار عليها شيئاً ؟ »[٣٧٢] .

والإضافة فى مطلع الخبر واضحةٌ ، والغرض منها اللجاجة فى رمى الوليد بالانحلال والمجون والاستهانة بالعلم والدين ! وهى من صنع الرواة الذين استقى منهم المؤرخون والأدباء المتأخرون .

ولا ينحصر العبث بأخبار معاقرة الوليد للخمر فى تحريفها أو تضخيمها أو التوليد منها ، أو الاختراع على شاكلتها ، بل يتعداها إلى نَحْلِهِ أخبارَ غيره من الخلفاء والشعراء ، مما ألصقه به الرواة من موالى العباسيين ، ومن اليمنيين أيضاً تهويلاً لبطالته وخلاعته ، وإلحاحاً على اتهامه بالانهماك فى الضلالة ، والانتهاك لحدود الإسلام .

ومن الأخبار التى نسبت إليه ، وهى ليست له هذا الخبر الذى ساقه أبو الفرج فقال : « أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن عمرو قال : قال الهيثم بن عدى : حدثنى ابن عياش قال : دخل أبو الأقرع (عبد الله بن الحجاج) على الوليد بن يزيد فقال له : أنشدنى قولك فى الخمر ، فأنشده قوله :

كميتٌ إذا شُجَّتْ وفى الكأس وَرْدَةٌ لها فى عظام الشَّار بين دَبِيبُ
تُرِيكَ القَذَى من دُونها وهىَ دُونَهُ لِوَجْهِ أخيها فى الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتها يا أيها الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتى لها رَابَك لقد رَابَنى مَعْرِفَتُك بها »[٣٧٣] .

وروى الشريف المرتضى الخبر بنصه عن أبى الفرج لأن أحداً غيره لم يحمله ، ولكنه غَيَّر اسم الشاعر ، إذ جعله عدى بن الرقاع العاملى[٣٧٤] .

والصحيح أن الخليفة الذى سأل أحد الشاعرين عن وصفه للخمر هو الوليد بن عبد الملك . لأنهما كانا يعاصرانه ، ولم يُدْرِكَا أيام الوليد بن يزيد فيما يُؤكد ما رواه أبو الفرج وغيره من أخبارهما . أما عبد الله بن الحجاج ، فوفد على الوليد بن عبد الملك مراراً ، وله معه أخبار كثيرة[٣٧٥] وأما عدى

---

(٣٧٢) هذه رواية أبى الفرج للخبر .
(٣٧٣) الأغانى ٧ : ٥٤ .
(٣٧٤) أمالى الشريف المرتضى ١ : ٢٧٧ .
(٣٧٥) الأغانى ١٣ : ١٦٤ ، ١٧٣ .

ابن الرقاع العاملي[٣٧٦]. فكان مقدماً عند بنى أمية مَدَّاحاً لهم، خاصاً بالوليد بن عبدالملك»[٣٧٧].

ومنها خبرٌ آخر أخذه البلاذرى عن الهيثم بن عدى، فقال: «كان مما سمع الوليد بن يزيد بالكوفة أو مِمَّن أشخص إليه من أهل الكوفة فأعجبه غناء قينتين لعبد الله بن هلال الهجرى، المعروف بصديق إبليس... فقال:

يا أهل بابل ما نَفِسْتُ عليكمُ ... من عَيْشِكُمْ إلَّا ثلاثَ خلال

خَمْرَ العراقِ وليلَ قيظٍ باردٍ ... وسماعَ مُسْمِعَتَيْن لابنِ هِلالِ»[٣٧٨]

والصواب أن الخبر والشعر لعمر بن أبى ربيعة، يدل على ذلك أن أبا الفرج رواها له، فهو يقول: «قدم عمر بن أبى ربيعة الكوفة، فنزل على عبد الله بن هلال الذى يقال له صاحب إبليس. وكان له قينتان حاذقتان، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما، فقال فى ذلك:

يا أهلَ بابلَ ما نَفِسْتُ عليكمُ ... من عيشكمْ إلَّا ثلاثَ خِلالِ

ماء الفراتِ وطيبَ ليلٍ باردٍ ... وغناء مُسْمِعَتينِ لابنِ هلالِ»[٣٧٩]

ويؤكده أن الشعر صحيح النسبة إلى عمر، فهو من شعره المُوَثَّق الذى يتضمنه ديوانه[٣٨٠]..

فالأخبار التى تَصِفُ عكوف الوليد على الخمر ضربان: ضربٌ سليمٌ جاء من طريق الرواة والمؤرخين الصادقين المعتدلين الذين لم يكن فى نفوسهم إحنٌ أو ضغائن، ولم يكن لهم هوًى أو غاية. وهو على قِلَّته ونُدْرَته يمكن الاعتماد عليه فى رسم إقبال الوليد على الخمر، وأهم ما يستنتج منه أن الوليد أسرف فى شرب الخمر، ولكنه لم يكن متعهراً متهتكا، بل كان سوياً عاديًا متماسكاً رزيناً، متحفظاً فى شربه، مُخْفِياً لِلَهْوه.

وضَرْبٌ مُهَوَّلٌ أو مفتعلٌ أو مَنْحولٌ، جاء من طريق الإخباريين والعلماء المنحازين المتحاملين، الذين طويت نفوس بعضهم على حقد وسخط على الأمويين، وكان بعضهم من أنصار العباسيين. وهو يُشَكِّلُ أكثر ما وصل من أخبار كلفه بالخمر، ويُظْهِرُه فى صورة خرافية مزرية، تنأى به عن قُدْرَة الإنسان واستطاعته، وتصمه بالفجور والتهاون، وتقطع بإلحاده ومروقه من الدين.

ويمكن أن يُوَزَّع شعره فى الخمر والمجون على ثلاثة أقسام: أما القسم الأول فصحيحٌ لا خلافَ

---

(٣٧٦) ترجمته فى طبقات فحول الشعراء ص: ٣٢٤، ٤٣٥، والشعر والشعراء ص: ٦١٨، والأغانى ١: ٢٩٨، ٩: ٣٠٧، ومعجم الشعراء ص ٨٦، وخزانة الأدب ١: ٩٨.

(٣٧٧) الأغانى ٩: ٣٠٧.

(٣٧٨) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص: ٣٢١، ٣٢٤.

(٣٧٩) الأغانى ١: ١٥٣.

(٣٨٠) ديوان عمر بن أبى ربيعة ص: ٣٧٦.

عَلَيْهِ . وشخصيته فيه تنسجم أشدَّ الانسجام مع شخصيته المستخلصة من أخباره الموثقة .

وهو يَرُدُّ فى بعضه على أعدائه ، ويحاربهم بخبث ودهاء ، إذ يمكر بهم كما مكروا به ، ويكيد لهم كما كادوا له ، ويُشنِّع عليهم كما شنعوا عليه . ومن أشهر ماله فى ذلك البيتان اللذان هتف فيهما بأبى شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، تحدياً لهشام الذى عابه بمعاقرة الخمر ، وشكَّك فى إسلامه ، ليصرف الناس عنه ، ويحملهم على المطالبة بتنحيته عن ولاية العهد ، إذ صَرَّح فيهما بأنه على مذهب أبى شاكر وملته ، وأنه يتعاطى الخمر على طريقته وسُنَّته ، فآذى هشاماً ، وَوَضَعَ من قدر ابنه الذى كان يُقَدِّمُهُ للخلافة ، وشغل الناس به ، ودفعهم إلى التَّهَكُّم منه ، فجرَّحُوه بنوادرهم ، واحْتَجُّوا على ترشيحه للخلافة[٣٨١] .

وله قطعة ثانية هاجم فيها هشاماً من جهة زوجه أم حكيم [٣٨٢] ، وكان ابنها يزيد بن هشام يقدح فى الوليد ، ويُعَرِّضُ به ، ويُحَرِّضُ عليه[٣٨٣] . فَشَهَّرَ الوليد بهشام وزوجه وولده ، إذ أعلن أنه يحتسى الخمر كما تحتسيها أم حكيم ، وأنه يتمنى أن يشرب بكأسها الكبيرة ، وزهد معاشرتهم ، لسوء خلقهم ، وكثرة عذلهم فى حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، يقول[٣٨٤] :

عَلِّلانِى بِعَاتِقاتِ الكُرُومِ ... واسْقِيانى بِكَأْس أمِّ حكيمِ
إنَّها تَشْرَبُ المُدامةَ صِرْفاً ... فِى إناءٍ مِن الزُّجاج عظيمِ
جَنِّبُونى أذاةَ كُلِّ لَئِيمٍ ... إنهُ ما علمتُ شَرُّ ندِيمِ
ثم إنْ كانَ فى النَّدامَى كريمٌ ... فأَذِيقُوهُ مَنَّ بَعْض النَّعيمِ
ليتَ حظِّى من النساءِ سُلَيْمى ... إنَّ سَلْمَاىَ جَنَّتى ونَعِيمى
فَدَعونى مِنَ المَلامَة فيها ... إنَّ مَنْ لامَنى لَغَيْرُ حَلِيمِ

ونظم قطعة أخرى فى الوزن نفسه ، وعقدها . بالقافية ذاتها ، كرر فيها بعض المعانى السابقة ، ولكنه طَوَّرها وأخرجها إخراجاً فنيًّا راقياً غنيًّا بالإيحاءات الساخرة التى تثير الضحك من أم حكيم وكأسها وابنها ، فقد وصف أم حكيم بأنها عجوز شمطاء خرقاء ، تدمن الخمر ، وتَجْرَعُهَا صافيةً غير ممزوجة بالماء ، فلا تُؤَثِّر فيها ، ولو شرب الجمل أو الفيل مقدار ما تشرب من الخمر لَدَوَّخَهُمَا وَصَرعها . ورمى ولدها بالحُمْقِ والهَوَج ، لأن أمه حملته ، ووضعته وهى مخمورة فاقدة للوعى ، فجاء مُعْتَلَّ

---

(٣٨١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ ، والأغانى ٧ : ٤ ، ١٦ : ٢٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ .

(٣٨٢) انظر ترجمتها فى الأغانى ١٦ : ٢٧٤ .

(٣٨٣) الأغانى ١٦ : ٢٧٧ .

(٣٨٤) الأغانى ١٦ : ٢٧٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ الورقة : ٢٤ ظ .

النفس ، مُختَلُّ العقل ، يقول[٣٨٥] :

إنَّ كَأْسَ العَجُوزِ كَأْسٌ رَواءٌ ليسَ كَأْسٌ ككَأْسِ أُمِّ حكيمِ[٣٨٦]
إنَّها تَشرَبُ الرَّساطُونَ صِرْفاً فى إناءٍ مِن الزُّجاجِ عَظِيمِ[٣٨٧]
لَوْ بِهِ يَشرَبُ البَعيرُ أوِ الفِيـ ـلُ لَظَلاًّ فى سَكْرَةٍ وغُمومِ
وَلَدَتْهُ سَكْرَى فلم تُحْسِنِ الطِّفْـ ـقَ فوافى لذاكَ غَيْرَ حَليمِ

ويدخل فى شعر الخمر والمجون الكيدى مقطوعات أخرى أنشأها الوليد عقب مبايعته بالخلافة مُعاندةً ومُغايظةً لأهله الذين ظلوا يعاتبونه وينهونه عن اللهو وشرب الخمر . ومنها هذه الأبيات التى أنشدها أشرافَ بنى أمية ووجوههم الذين وفدوا عليه من المدينة ولاموه ونصحوه ، فهو يعلن فيها أنه مَفْتُونٌ بالغناء والحسان الساحرات والخمر والندماء المؤدبين ، والأصدقاء المرحين ، والسقاة الحاذقين ، وأنه لن يُقْلِعَ عما فُتِنَ به مهما راجعه أهلُهُ وعذلوه ، يقول[٣٨٨] :

أُشْهِدُ اللهَ والملائكةَ الأبْـ ـرارَ والعابِدينَ أهلَ الصَّلاحِ
أنَّنى أشْتَهى السَّماعَ وشُرْبَ الـ ـرَّاحِ والعَضَّ للخدُودِ المِلاحِ
والنَّدِيمَ الكريمَ والخَادِمَ الْـ ـغَارةَ يَسْعَى عَلَىَّ بالأَقْدَاحِ
يَفْهَمُ الوَحْىَ والإشارَةَ بالْـ ـكَفِّ ويَصْبُو إلى هُبوبِ الرِّياحِ
وظَرِيفَ الحديثِ وَالْكَاعِبَ الطَّفْـ ـلَةَ تَخْتَالُ فى سُموطِ الوِشاحِ[٣٨٩]

ومنها هذه الأبيات التى تَخَطَّى فيها الاعتراف لملائميه بمعاقرة الخمر وأنه لن يتركها إلى السخرية منهم والاستهزاء بتقواهم ، والتَّسْفِيهِ لأحلامهم ، والتَّهكُّم مِن امتناعهم عن شرب الخمر انتظاراً لما يوعدون به من أنهار الخَمر المُحَلَّلة فى الجنة ، وأمعن فى استفزازهم ، إذ جعل يُصَرِّحُ أنه سيأخذ الناس بالرِّفْق واللِّين حتى يُقْنِعَهم بمذهَبه ويحملهم على الإيمان به ، وَبثَّ فى تضاعيف ذلك شكاًّ فى البعث والنشور ، يقول[٣٩٠] :

---

(٣٨٥) الأغانى ١٦ : ٢٧٩

(٣٨٦) الرواء : الكثير المروى .

(٣٨٧) الرَّسَاطون : قال الأزهرى : « أهل الشام يسمون الخمر الرساطون ، وسائر العرب لا يعرفونه . قال : وأراها رومية دخلت فى كلام من جاورهم من أهل الشام ، ومنهم من يقلب السين شينا ، فيقول رشاطون » . (لسان العرب : رسط) .

(٣٨٨) الأغانى ٧ : ٢٢ ، وتاريخ الموصل ص : ١٢٥ ، والبدء والتاريخ . ٦ : ٥١ ، وحلبة الكميت ص : ٩٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الووقة : ٢٥ ظ . .

(٣٨٩) الكاعب : التى نَهَد ثَدْيُها . والطفلة : الناعمة .

(٣٩٠) كتاب الأشربة ص : ٤٢ ، والأغانى ٧ : ٤٦ ، وأمالى الشريف المرتضى ١ : ١٢٩ ، ورسالة الغفران ص : ٤٤٤ ، والحور العين ص : ١٩٠ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ٢٢ ظ .

أدِرِ الكأْسَ يَميناً لا تُـدِرْهَـا لِـيَسَـار
اِسْقِ هذا ثُمَّ هدا صاحِبَ العُودِ النُّضَارِ[٣٩١]
مِنْ كُمَيْتٍ عَتَّقُوها مُنْذُ دَهْرٍ فى جرارِ
خَـتَـمُوهـا بـالأفـاوِ يـهِ وكـافورٍ وقار
فلقد أيْقَنْتُ أنِّى غَيرُ مَبْعُوثٍ لنارِ
سأَرُوضُ النَّاسَ حتى يَرْكَبُوا دِيَن الحِمارِ
وذَرُوا مَنْ يَطْلُبُ الجَنَّـ ـةَ يَسْعَى لِتَبارِ

وقدَ جزَم الشريف المرتضى بأنَّ الأبيات دليلٌ ساطِعٌ لا يُدْفَعُ على إنكار الوليد ليوم الحساب وشريعة الإسلام[٣٩٢]، وجاراه فِى ذلك إيليا حاوى، وأكَّدهُ ببَقِيَّة ما أضيف إلى الوليد مِن شعر خمرى بمنحول أو مُفْتَعَل فيه إلحادٌ شديدٌ وكُفْرٌ بَيِّنٌ[٣٩٣]. والغالبُ أنَّ الوليد لمْ يُرِدْ بالأبيات الإلحادَ والكفرَ وإنما أراد بها التعابث والتماجن[٣٩٤]، واستثارة النَّاصحين العاتبين، وصدم الأعداء المُكَاشِحين، مما استظهره العلماء القدماء المحايدون، ونصوا عليه نصاً صريحاً، إذ يقول ابن قتيبة مُعَقِّباً على الأبيات وقد استشهد بها: «وربما كفروا بالله مُجوناً. وكذبوا الرسل، وجحدوا بالنشور والبعث فى حال السكر»[٣٩٥].

وأغلب ما للوليد من شعر الخمر والمجون الصحيح فى وصف غرامه بالخمر وغاياته من إدمانها، وأوقات شربه لها، وألوانها وأنواعها ومجالسها وسقاتها ونشوته بها. ومنه قوله الذى يصرح فيه بإقباله على الخمر فى الصباح الباكر، وأنه كان يتعاطى خمراً صفراء مصنوعة ببيروت حادة، تفعل الأعاجيب فى أجسام رفاقه إذا شربوها، إذ يُصَابُون بالخمول ويَفْقدون النشاط، فلا يستطيعون الحركة إلَّا بجُهْدٍ وبُطْءٍ[٣٩٦]:

قُمْ فاسْقِنى قَبلَ أصوات العصافير إنِّى أرَى الصُّبْحَ قد نادَى بِتَبْشير
صفراء من خمرِ بيروتٍ مُعَتَّقةً تَرْمى النَّدامَى بِتَخْثِير وتَفْتِير[٣٩٧]

---

(٣٩١) النضار: الخالص من كل شىء.
(٣٩٢) أمالى الشريف المرتضى ١: ١٣٠، ١٣١.
(٣٩٣) فن الشعر الخمرى وتطوره عند العرب ص: ١٢٤.
(٣٩٤) التطور والتجديد فى الشعر الأموى ص: ٣٠٥.
(٣٩٥) كتاب الأشربة ص: ٤٢.
(٣٩٦) تاريخ دمشق، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠، المجلد ١٧، الورقة: ٤٨١ ظ.
(٣٩٧) التخير كالتفتير، يقال خثرت الخمر مفاصله إذا فَتَّرتها وَجَمَّدتها.

عن اليمين أَدِرْهَا حينَ نَشْرَبُها كشاهدٍ عندَ قاضٍ قامَ بالزُّور

وقوله يصور الخمر التى كان يدمنها ولونها وفقاقيعها ، فقد كان يحتسى أجود أنواع الخمر وأغلاها مما جلب من عسقلان بفلسطين ، وهى خمر راقية كان يستكثر من شربها ولا يقتصد فيه (٣٩٨) :

وصفراءَ فى الكأْسِ كالزَّعفرانْ سَباهَا التُّجيبيُّ من عسقلانْ
تُريكَ القَذاةَ وعَرْضُ الإناء سِتْرٌ لها دونَ لَمْس البَنانْ
لها حَبَبٌ كلّما صُفِّقَتْ تَراها كَلَمْعَةِ بَرْقٍ يَمانْ

وأكثر المعانى والصور التى طرقها أو رسمها فى القطعتين مستمد من معانى الجاهليين وصورهم البدوية . فهو يحاكيهم فى حديثه عن وقت شُرْبه للخمر ، أو عن أثر الخمر فى شاربيها وأفاعيلها فى أجسامهم ، ويُقَلِّدهم فى تشبيه لون الخمر الأصفر بالزعفران ، وفى تشبيه الفقاقيع المتوهجة التى كانت تطفو على سطح الإناء وقد ملئ خمراً بلمع البرق ، ويكاد يعبر عن هذه المعانى والصور بألفاظهم وأساليبهم (٣٩٩) ، دون أن يعمد إلى اللغة المتناولة الدارجة والتراكيب الدائرة المستعملة . ولا يزيد عليهم إلّا فى أشياء يسيرة بعضها كالتوضيح لمعانى القدماء وصورهم والتعميق لها ، كوصفه لصفاء لون الخمر ، فقد ذكر الجاهليون أن الخمر لشدة صفائها لا تحجب ما فيها وأن قعر الإناء يُرَى منها (٤٠٠) . ولكنه تأنق فى عرض المعنى والصورة تأنقاً هداه إليه ذوقه المترف وخياله المرهف ، إذ أشار إلى أن لون الخمر صفا صفاءً شديداً ، ورقَّ رِقَّةً بالغة بحيث يظن الناظر إلى الخمر أنها مُعَلَّقة فى الفضاء . ولا يدرك أنها محفوظة فى إناءٍ إلّا إذا اقترب منه ، ومَسَّه بأصابعه .

ويَفْتَرق عنهم فى رسمه لبعض الصور الجديدة التى استوحاها من مظاهر الحياة الإسلامية ، كتشبيهه للساقى الذى كان يدور عليه وعلى رفاقه بكؤوس الخمر متيامناً مضطرباً أو مدهوشاً ، بشاهد الزور الذى وقف أمام القاضى .

ويظهر أن القطعتين السابقتين من شعر الوليد الذى نَظَمهُ متأثراً بشعر الجاهليين الخمرى ، وخاصة شعر عدى بن زيد العبادى الذى رواه له وأطلعه عليه القاسم بن الطويل العبادى ، وحماد الراوية وهما لا تشكلان خمرية طويلة متكاملة ، بل رقعة صغيرة موجزة بسيطة ألَمَّ فى كل منهما ببعض المعانى والصور القديمة أو المحورة المُوَسَّعة .

فلما اتَّصل بشعراء الكوفة الخلعاء الظرفاء ، وخالطهم مخالطة قوية ، وسمع شعرهم الخمرى الذى

---

(٣٩٨) العقد الفريد ٤ : ٤٥٩ ، والأغانى ٩ : ٢٧٥ .

(٣٩٩) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص ٤٤ . ٥٨ .

(٤٠٠) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ٤٢ ، ٤٣ .

جَدَّدوا فيه تجديداً متنوعاً ، إذ طوَّروا لغته وأساليبه وصوره تطويراً بعيداً[٤٠١] ، تَفَوَّقوا به على أبي الهِنديِ التميمي أشهر شعراء الخمر من مخضرمي الدولتين ، رَقِيَتْ خَمْرِيَّتُهُ ألواناً من الرقي ، فقد طوَّلها ، وأسهب في تصوير مسرته بالخمر ، وإن ظل ينظم فيها البيتين أو الثلاثة ، وابتدع بعض المعاني والصور الطريفة الدقيقة ، وصَبَّها في لغة سهلة سهولةً متناهية ، وسكبها في أقصر الأوزان وأرشقها ، وجزَّأ الأوزان القصيرة نفسها طلباً للخفة والسرعة ، وساعده على الرقي بها نُضْجُ موهبته ، واستقرارُ مَذْهَبِهِ ، وفراغُ حياته ، ورهَافَةَ حِسِّه وخياله ، ومعرفتهُ بالموسيقى ، ونَظْمُهُ لخمريته حتى يُلَحِّنَها المغنون ويُغَنُّوه فيها ، وتَلْحِينُهُ أحياناً لها ، وتَرَنُّمه بها . فغدت خَمْرِيَّتُهُ نغماً ينساب في يسر ونعُومةٍ ، ويتدفق حيويةً وحركةً ، واستحالت صورةً من صور معيشته الزاخرة بالنعمة الخالصة ، ومظهراً من مظاهر حياته التي كانت تضجُّ بالأجواء الموسيقية الراقصة .

ومن بقايا خمرياته السهلة المشرقة ، التي أفصح فيها عن عشقه للخمر ، ورغبته في إغراق همومه فيها ، وتجْديد أنسه بها ، وصاغها في أسلوب رقيق ، ولحن رشيق قوله[٤٠٢] :

إسْقِنَا يا زَيْـدُ بِالقَرْقَارَهْ قَـدْ طَرِبْنَا وحَنَّتِ الزَّمَّارَهْ[٤٠٣]
إسْقِـنى إسْقِـنى فإنَّ ذُنُوبى قـد أَحاطتْ فما لها كَفَّارهْ

وقوله[٤٠٤] :

إسْقِـنى يا زَيْـدُ صِرْفاً إسْقِـنى بالطَّرْجَـهـارَهْ
إسْقِنيها مُـزَّةً تَـأْ خُـذُنِى منها اسْتِـدَارَهْ
إسْقنيها كى تُسَـلِّى ما بِقَـلْبِى مِنْ حَـرارَهْ

ومن أطرف خمرياته التي طالت بعض الطول ، وحفلت بتجديداته الموضوعية واللغوية والتصويرية والموسيقية قوله[٤٠٥] :

عَـلِّلانى واسْـقِـيـانى مـن شرابٍ أصبهـانى
من شرابِ الشيخِ كِسْرَى أو شرابِ الـقَـيْـروانِ
إنَّ فى الكأْسِ لمسكاً أو بِكَفَّىْ مَنْ سَقانى

---

(٤٠١) الشعراء من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ص : ٣١٨ .
(٤٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .
(٤٠٣) القرقارة : كوب من زجاج طويل العنق . الزمارة : القصبة التي يزمر بها .
(٤٠٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢١ .
(٤٠٥) الأغاني ٩ : ١٣١ ، والعقد الفريد ٤ : ٥٤٨ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثاني ص : ٣٢١ .

أو لَقَدْ غُودِرَ فيها حينَ صُبَّتْ فِى الدِّنانِ
كِـــلَّلانى توَّجـانِى وبِشـعْـرِى غَـنِّـيـانِى
أَطْـلِـقـانى بوثـاق واشْـدُدانى بِـعـنـانى
إنَّما الـكـأْسِ رَبـيـعٌ يُـتَـعـاطَى بـالـبَـنـانِ
وحُـمَـيَّاً الـكأْسِ دَبَّتْ بَـيْـنَ رجْلى ولِسـانى

فهو مفهوم بالخمر الفارسية أو التونسية فهماً شديداً كان يَتَوَخَّى به التَّسَلِّى والتَّلَهِّى . وهو يرى أن إقباله على الخمر ، بل فناؤه فيها هو الذى يبعث فى نفسه المسرة والفرحة ، ويُغْرِيه بحب الحياة ، والاستمتاع بملذاتها ، ويَقَوِّى إحساسه بالانطلاق والحرية .

وهو يبنى معانيه السهلة فى تراكيب سلسلة عادية خالية من رواسب اللغة النابية أو المهجورة ، وأساليبها الضخمة الوعرة ، ويَسْتَقِلُّ بخياله عن خيال القدماء المرتبط بواقعهم المادى الصحراوى ، ويمنح به ويُحَلِّق ، إذ يتصور أن للخمر تاجاً يرمز إلى النشوة والسعادة يريد من سقاته وندمائه أن يعقدوه على مفرقه ! ويبعد بخياله فيجعل الخمر ربيع الحياة الذى يمسك باليد ويُحْتَسَى فَيَسْرِى فى عروقه وأوصاله وفؤاده زينةً وبهجةً .

وهو يشدو بخمريته على نغمات مجزوء الرمل ودقاته السريعة المتلاحقة لأنها الأقدر على نَقْلِ عاطفته الملتهبة المتفجرة ، وتَمْثيلِ رعونته وطيشه فى طربه ، وحَمْلِ معانيه المتدفقة التى يسابق بَعْضُها بعضاً .

وخمريته البائية هى أروع ما سَلِمَ من شعره الخمرى الصحيح وأكمله . وهى تنطق بفلسفته فى معاقرة الخمر وعبادتها ، وتزخر بالمعانى الدقيقة الجديدة ، والصور النادرة المبتدعة ، وتترقرق فى أسلوب سهل ناصع ، وموسيقى ناعمة رقيقة . وفيها يقول[٤٠٦] :

إصْدَعْ نَجِىَّ الهُمومِ بِالطَّرَبِ وانْعَمْ على الدَّهر بابْنَة العِنَب
واسْتَقْبِلِ العيش فى غَضارَتِهِ لا تقفُ منهُ آثارَ مُعْتقبِ
من قَهْوةٍ زانها تَقَادمُها فهى عَجُوزٌ تَعْلُو على الحِقَبِ
أَشْهَى إلى الشَّرْبِ يومَ جَلْوتِها مِن الفتاة الكريمة النَّسَبِ
فقد تَجَلَّتْ وَرَقَّ جَوْهَرُها حتى تَبَدَّتْ فى منظرٍ عجبِ
فهىَ بِغَيْرِ المِزَاجِ مِن شَرَرٍ وهى لدى المَزْجِ سائلُ الذهبِ
كأَنَّها فى زجاجِها قَبَسٌ تَذْكُو ضِياءً فى عَيْنِ مُرْتَقبِ
فى فتيةٍ من بنى أمية أهْـ ـل المجدِ والمأْثُراتِ وَالحَسَبِ

(٤٠٦) الأغانى ٧ : ١٩ .

ما فى الـوَرَى مثلُهم ولا فيهمُ مِثلى ولا مُتَّمِ لمثـل أبى

فالخمر هى التى أنقذته من الماضى المظلم ، وهى التى وصلته بالحاضر الباسم ، بل هى السحر الذى جعله يستأنف حياته ، وينعم بها ، وهى التى حلت عُقْدته ، وأنهت عُزْلَته ، فاندمج فى أمراء قومه العظماء ، وأحس ذاته بينهم ، وفَضْلَه فيهم ، وتَفوُّقَه عليهم .

وهو يختار لخمريته أصفى الألفاظ وأعذبها ، ويركبها فى جُملٍ مشرقة مألوفة تعبر عن معانيه وتُؤَدِّيها أداءً واضحاً مكشوفاً ، لا غموض فيه ولا التواء ، وتقوم بصوره وترسمها رسما دقيقاً بارعاً ، لا تعقيد فيه ولا خفاء .

والخمرية غنية بالصور الرائعة ، التى لم يسبقه إليها أحد من الشعراء الجاهليين المتحضرين أو الإسلاميين . فالخمر وليدة العنب ، بل ابنتُه . وهى فى قِدَمها وكثرة ما تراخى عليها من الأعوام أثناء خزنها وتَعْتِيقها عجوزٌ طاعنة فى السن . تُعايِشُ الزمن ، وتمتدُّ معه وتتجاوزه . وهى حين تسكب فى الأقداح فتتكسر وتتوهج عروسٌ شريفة حسناء ذاتُ دلالٍ تروع المتأمل وتُغْويه بها لفرط جمالها يومَ جلوتها . وهى لرقة جوهرها ، وصفائها فى أوانيها تَتَمَثَّل فى شكل خَلَّاب ، ومَنْظرٍ أخّاذ . وهى حين تُصَبُّ فى الأقداح فَتَغْلِى وتتطايَرُ ذَرَّاتٌ منها كأنها شررٌ متطايرٌ ، فإذا خُلِطت بالماء وهدأت وسكنت وصفت أشبهت سائل الذَّهب . وهى فى زجاجاتها قَبسٌ يَشِعُّ نوراً يخترق عين الناظر إليها .

وقد صَدَحَ بهذه المعانى والصور التى استلهم بعضها من عالم المرأة على إيقاع وزن المنسرح ، لما فيه من نغمات فيها لُيونةٌ ونعومةٌ وتأنُّثٌ وتَكَسُّر[٤٠٧] !

وكان أبو الفرج معجباً بهذه الخمرية إعجاباً عبّر عنه حيناً بقوله : إنها من أحسن أشعار الوليد فى صفة الخمر ، ومما برز فيه وجَوَّده وتبعه الناس جميعا فيه ، وأخذوه منه[٤٠٨] ، وحيناً بقوله : « هذا من بديع الكلام ونادره . وقد جَوَّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك فى أشعارهما »[٤٠٩] .

ذلك هو معظم شعر الوليد المُوَثَّقِ فى الخمر والمجون . وبجانبه مقطوعات تَتَدَفَّق نُعُومةً وحيوية صَوَّر فيها مجالس لهوه الطافحة بالطيوب والورود والمغنين ، ومشاطرة مُغَنِّيه له فى شُرْب الخمر ،

---

(٤٠٧) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١ : ٢٠٠ .

(٤٠٨) الأغانى ٧ : ١٨ .

(٤٠٩) الأغانى ٧ : ٢٠ .

وإحياءهم الحفلات الغنائية بعد تَمَلِهمْ وانْتِشائهم ، مَرَّبعضها فى الحديث عن احتفاله بالمغنين والمضحكين ، ومنها قوله[٤١٠] :

عَـلِّـل الـقَـوْمَ قـلـيلاً يـا ابَـن بِـنْـتِ الـفارسِيَّهْ
غَـنِّـهِـمْ أنتَ وبِشْـرٌ وابـنُ بِـنْـتِ الـهُـذَلِـيَّهْ
إنَّهمْ قد عاقروا اليَوْ مَ عُـقـاراً مَـقَدِيَّهْ[٤١١]
عِـنْـدَنـا مِسْكٌ وريحا نٌ وعُودُ المَنْدَلِيَّهْ[٤١٢]

وَوَصْفُ الوليد انفعاله بالخمر ومسرتَه بها ، وتيْسيره للغة خمرياته وتَرْقيقُه لها ، واخْتِيَارُه لأَقْصَرِ الأوزان وأخفها ، وابتكارُه فى صورها ، ترفعه إلى مرتبة عالية بين شعراء الخمر ، وتجعلهُ واحداً من شعراء الطليعة الإسلاميين الذين أسهموا فى تطوير الخمرية .

ولكن بعض القدماء يبالغون فى الحديث عن وَفْرَة شعره الخمرى وغزارته ، وتقدير دوره فى النهوض بالخمرية ، وأثره فى شعراء الخمر العباسيين المشهورين ، وأبو الفرج هو أول من بالغ منهم فى ذلك ، إذ يقول : « للوليد فى ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء ، فأدخلوها فى أشعارهم ، سلخوا معانيها ، وأبو نواس خاصَّةً فإنه سَلَخ معانيه كلها وجعلها فى شعره ، فكررها فى عدة مواضع منه . ولولا كراهة التطويل لذكرتها ها هنا ، على أنها قد تنبئ عن نفسها[٤١٣] .

وأخذ برأى أبى الفرج وما ذهب إليه من شعر الوليد الخمرى أضخم مما رواه وتَمَثَّل به ، وأنَّ أبا نواس أغَار على معانيه وسرقها وادعاها لنفسه ابن الطقطقى[٤١٤] وابن الأثير[٤١٥] .

وأبو الفرج يغالى فى الأحكام التى أطلقها وقَرَّرها ، ويظهر أنه إنما حكم باستفاضة شعر الوليد الخمرى واستبحاره اعتماداً على ما وُضِعَ عليه أوْ ما أُلْصِقَ به من الشعر الخمرى . فشعر الوليد الخمرى الصحيح ليس كثيراً كثرة مفرطة ، وإنما هو أقل من شعر غيره من شعراء الخمر الذين اشتهروا فى آخر العصر الأموى ، كأبى الهندى التميمى .

---

(٤١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ ، ولسان العرب ٤ : ٤١٦ ، وتاج العروس ٢ : ٥١٤ .

(٤١١) العقار : الخمر سميت بذلك لأنها تعقر العقل أى تذهب به . مقدية : قربة بالشام من عمل الأردن ، ينسب إليها الشراب .

(٤١٢) مندل : بلد بالهند يجلب منها العود .

(٤١٣) الأغانى ٧ : ٢٠ .

(٤١٤) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .

(٤١٥) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٩ .

وإذا كان مَنْهجُ أبى الفرج قام على الاستشهاد ببعض شعر الوليد الخمرى ، وإهمال سائره كراهة التَّطْويل ، مما قد يوحى بأن شعراً كثيراً للوليد سقط وضاع ، فإن غيره من المؤلفين لم يلتزموا بمنهجه ، فقد جنحوا إلى رواية كل ما وصلهم وما كان متداولاً فى زمانهم من شعر الوليد . والبلاذرى هو الذى سَرَد الكثرة المطلقة من شعر الوليد الخمرى وحشدها ، وهى تزيد فى عدد مقطوعاتها وقصائدها عما ذكره أبو الفرج منها . ولكنها لا تُثْبتُ أنَّ الوليد استكثر من وصف الخمر استكثاراً شديداً . ولو أن شعر الوليد الخمرى يفوق فى كميته ما حفظ منه البلاذرى وأبو الفرج ، وكانت مقطوعاته وقصائده شائعة معروفة فى القرن الرابع ، لَسَلِمَ منها شىءٌ مما لم يروه البلاذرى وأبو الفرج ، غير أن أغلب ما ورد منها فى كتب المؤرخين والأدباء المتقدمين والمتأخرين مَنْقولٌ عن كتاب أنساب الأشراف ، وكتاب الأغانى .

وأحكام أبى الفرج عامة تطلق على الوليد وعلى غيره من الشعراء . وهى أحكام رددّها قبله ابن المعتز فى تقويمه لدور أبى الهندى فى وصف الخمر ، وأثره فى الشعراء العباسيين ، إذ يقول : «كان جماعة مثل أبى نواس والخليع وطبقتهم إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا فى شعر أبى الهندى ، وما استنبطوا من معانى شعره »(٤١٦). وردَّدها أبو الفرج نفسه فى ترجمته لأبى الهندى ، وروى بعض أقوال النقاد التى تتهم أبا نواس بأنه نسخ معانى أبى الهندى ، إذ يقول : «كان جزل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعانى . . . واستفرغ شعره بصفة الخمر ، وهو أول من وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وُكْدَهُ وقَصْدَه »(٤١٧). ويقول مرة ثانية : «كان إسحاق الموصلى يستحسن شعره فى وصف الخمر ويُقَرِّظه ، ويقول فى أبى نواس : من أين أخذ أبو نواس معانيه إلّا من هذه الطبقة ، وأنا أوجدكم سَلْخَه هذه المعانى كلها فى شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبى الهندى ، ثم يستخرج المعنى والموضع الذى سرقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلها »(٤١٨) .

فالوليد بن يزيد وأبو الهندى من أعلام الشعراء الإسلاميين النابهين الذين شغفوا بوصف الخمر ، واستغرقوا أشعارهم فيه . وهما يشتركان فى بعض الخصائص ، ويفترقان فى خصائص أخرى ، فَهُما يتساويان فى الاستهتار بوصف الخمر وصفاً معنوياً عبَّرا فيه عن صبابتهما بالخمر وعبادتهما لها ، وأذاعا فيه بذور الشك والعبث . ويتقاسمان التجديد فى لغة خمرياتهما وصورهما وموسيقاها ، ولكن الوليد يتقدم أبا الهندى فى استعمال الألفاظ السهلة المألوفة والعبارات الدارجة البسيطة ، وفى استخدام

(٤١٦) طبقات ابن المعتز ص : ١٤٢ .
(٤١٧) الأغانى ٢٠ : ٣٢٩ .
(٤١٨) الأغانى ٢٠ : ٣٢٩ .

الأوزان القصيرة والمجزّأة ، أما أبو الهندى فيسبق الوليد فى تشقيق المعانى واستقصائها ، واستنباط دقائقها ، وفى إلحاحه على الصور وتأنقه فيها وتجويده لها ، وفى عنايته بالقِصَّة الخمرية وبَعْثِه لها وإطرافه فى بنائها[٤١٩] ، وكان الأعشى هو الذى رَسَّخَ جذورها ، وأَصَّلَ بواكيرها[٤٢٠] .

وأما القسم الثانى من شعر الخمر والمجون الذى أضيف إلى الوليد فليس له ، وإنما هو مما نُحِلَ عليه من شعر غيره من الشعراء الذين اشتهروا بمعاقرة الخمر ، ووصف عَرْبَدتهم وتَخَرُّقهم فى شربها ، حَمَلَه عليه الرواة الوضاعون ، تشهيراً به ، وتضخيماً لماوجدوا فى شعره الخمرى الصحيح من بذور الشك والتَّعابث الكيدى . ومنه هذا البيتان اللذان نسبا إليه فى بعض المصادر دون إسناد[٤٢١] :

إمْدَح الكأْس ومَنْ أَعْمَلَهَا واهْجُ قَوْماً قَتَلونَا بِالعَطَشْ
إنَّما الكأْسُ رَبِيعٌ باكِرٌ فإذا ما غَابَ عَنَّا لم نَعِشْ

وهما لنابغة بنى شيبان[٤٢٢] .

ومنه مقطوعة ثانية فاحشة فيها تَهتُّك وتماجُنٌ شديد ، كان ياقوت الحموى أول من عزاها إليه دون ذكر لسلسلة الرواة الذين أخذها عنهم[٤٢٣] ، ثم نقلها عنه ابن فضل الله العمرى[٤٢٤] . وهى تجرى على هذا النحو :

حَبَّذا لَيْلَتِى بِدَيْرَبَونَّا حَيْثُ نسْقَى شَرَابَنَا ونُغَنَّى
كَيْفَمَا دَارَتِ الزُّجَاجَةُ دُرْنَا يَحْسِبُ الجَاهِلُونَ أنَّا جُنِنَّا
وَمَرَرْنَا بِنِسْوَةٍ عَطِراتٍ وغِنَاءٍ وقَهْوَةٍ فَنَزَلْنَا
وَجَعَلْنَا خليفة الله قُطْرُو سَ مُجوناً والمُسْتَشَارَ يُحَنَّا
فَأَخَذْنَا قُرْبانَهمْ ثُمَّ كُفُّرْ نَا لِصُلْبَانِ دَيْرِهِمْ فَكَفَرْنا
واشْتُهِرنا للنَّاس حيثُ يَقُولو نَ إذا خُبِّرُوا بما قَدْ فَعَلْنَا

وهى لمالك بن أسماء الفزارى ، وهو من أشراف أهل الكوفة ، ومن الشعراء الأمويين الهواة العشاق ومن مدمنى الخمر ووُصَّافها ، كان الحجاج ولاه بَعْدَ أن تزوج أخته هنداً بأصبهان بعد حبس طويل وخيانة ظهرت عليه ، ثم خَلَّاه ، وطالت أيامه بأصبهان فظهرت عليه خيانة أخرى ، فحبسه

(٤١٩) انظر الشعراء من مخضرى الدولتين الأموية والعباسية ص : ٣٠٧ – ٣١٧ .
(٤٢٠) تطور الخمريات فى الشعر العربى ص : ٦٢ .
(٤٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٢ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٥٩ .
(٤٢٢) الأغانى ٧ : ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، وديوان نابغة بنى شيبان ص : ٨٥ .
(٤٢٣) معجم البلدان ٢ : ٦٤٩ .
(٤٢٤) مسالك الأبصار ١ : ٣٥١ .

ونَالَه بكل مكروه . ففر من سجنه إلى الشام . وأخذ يتردد على أدْيِرتها . وَيَتَبَطَّلْ بها . ومنها دَيْر بَوَنَّا .

والأبيات جزء من قصيدة طويلة له رَوَى أبياتاً منها الجاحظ[٤٢٥] . وابن قتيبه[٤٢٦] . وأبو الفرج[٤٢٧] ، والمرزبانى[٤٢٨] ، وأبو عبيد البكرى[٤٢٩] ، وياقوت الحموى أيضاً[٤٣٠] ! .

ومنه أبيات فى الكفر بالله . وإنكار النبوة . كان المسعودى أول من أضافها إليه . وزعم أن المبرد هو الذى ذكرها له[٤٣١] . وهى ليست من شعر الوليد الذى رواه المبرد فى كتاب الكامل . ثم نسبها إليه الشريف المرتضى[٤٣٢] . وابن القارح[٤٣٣] . ونشوان بن سعيد الحميرى[٤٣٤] . وابن العماد الحنبلى[٤٣٥] .

وألصقها ابن عساكر بيزيد بن عبد الملك . لا بابنه الوليد[٤٣٦] . وساق سلسلة الرواة . وهى تبدأ بعبد الله بن عياش الهموانى . صنيعة أبى جعفر المنصور . فكأن ابن عياش هو الذى نحلها يزيد ابن عبد الملك . ثم حملها المؤرخون والأدباء على ابنه الوليد . لأنه أشهر منه فى الشعر والمجون . والأبيات تنساب على هذا النمط :

تَلَعَّب بالخلافةِ هَاشِمِىٌّ ... بلاوَحْىٍ أتاهُ ولا كتابِ
تُذَكِّرُنى الحسابَ ولستُ أَدْرى ... أحقاً ماتقولُ من الحِسابِ
فَقُلْ لله يَمْنَعُنى طَعامى ... وقُلْ لله يَمْنَعُنى شَرابى

وهى ليست له . بل لبجير بن عبد الله بن عامر بن سلمة القشيرى . من قصيدة ميمية له فى رثاء هشام بن المغيرة المخزومى . قلب الرواة الوضاعون أبياتها . فجعلوا عروضها ضرباً . وضَرْبَها عروضاً .

---

(٤٢٥) البيان والتبيين ١ : ١٣٥ .
(٤٢٦) الشعر والشعراء ص : ٧٨٢ .
(٤٢٧) الأغانى ١٧ : ٢٢٩ ، ٢٣٦ .
(٤٢٨) معجم الشعراء ص : ٢٦٦ .
(٤٢٩) سمط اللآلى ص : ١٦ .
(٤٣٠) معجم البلدان ١ : ٨٦٥ .
(٤٣١) مروج الذهب ٣ : ٢٢٩ .
(٤٣٢) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣٠ .
(٤٣٣) رسالة الغفران ص : ٣٤ .
(٤٣٤) الحور العين ص : ١٩٠ .
(٤٣٥) شذرات الذهب ١ : ١٦٩ .
(٤٣٦) تاريخ دمشق . مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩١ . المجلد ١٨ . الورقة : ١٦٢ ظ .

ومن الغريب أن أكثر من حَمَلُوا قصيدة بجير القشيرى ، حذفوا منها تلك الأبيات الخبيثة تَحرُّجاً وتَعَفُّفا[٤٣٧] ، ولم ينشدها إلَّا نشوان بن سعيد الحميرى ، ومنها :

أَيوعِدُنا ابنُ كَبْشَةَ أنْ سَنَحْيا ... وكَيفَ حَياةُ أصداءٍ وهام[٤٣٨]
أَيَعْجزُ أنْ يَرُدَّ الموتَ عنِّى ... وَيُحْيِيَنى أذا بَلِيَتْ عِظامى
ألاَ مَنْ مُبْلِغُ الرحمَن عنِّى ... بأنىَ مُفْطِرٌ شَهْرَ الصِّيامِ
فَقُلْ لِلّهِ يَمْنَعُنى شَرابِى ... وقُلْ لله يَمْنَعُنى طَعامِى

ويُمثِّلُ تحريفُ الأبيات مرحلةً من مراحل التَّدْقيق فى الوضع والتزيد فى شعر الوليد ، فقد أنشد ابن شاكر الكتبى أبياتاً من قصيدة بجير القشيرى ، منسوبة إلى الوليد بألفاظها وقافيتها ، إذ يقول : كان الوليد قد استقبل شهر رمضان فى خلافته بالمجون والخمر ، وَوُعِظَ فى ذلك فقال :

ألا منْ مبلغُ الرحمَن عنِّى ... بأنى تاركٌ شَهْرَ الصِّيام
فقلْ للهِ يَمْنَعُنى شَرابِى ... وقُلْ لله يَمْنَعُنى طعامى[٤٣٩]

وإنما أغرى الرواة الوضاعين بتزييف الأبيات والدس عليها أنهم ظفروا فى خطبة يزيد بن الوليد التى ألقاها بعد اغتيال الوليد بجملة يرميه فيها بأنه كان لايُصَدِّق بالكتاب ، ولا يُؤمن بيوم الحساب[٤٤٠] . فعبثوا بأبيات بجير الفشيرى ، واختلقوا من التهمة بيتين ضموهما إليها ، وَبَدَّلوا قافية الأبيات فأصبحت بائية لاميمية ! واستخدموا كلمة الكتاب ، وكلمة الحساب فى القافية ، إذ ختموا بهما البيتين المخترعين ، ليطابق مضمون الأبيات المزورة وقافيتها مضمون التهمة المفتعلة وبعض ألفاظها ، ويُوثِّق كل منهما الآخر ويؤكده ، إخفاءً لعبثهم ، وتغطيةً لتلفيقهم !

وأما القسم الثالث من شعر الخمر والمجون المنسوب إلى الوليد فَتُرَجِّحُ ميولُ مُرَوِّجيه ورواته وتاريخ نشرهم له أنه مما أُلِّف وأضيفَ إليه فى القرن الرابع ومابعده ومنه قطعةٌ غزليةٌ صحيحةٌ لاصلة

---

(٤٣٧) المؤتلف والمختلف ص : ٧٦ ، ونسب قريش ص : ٣٠١ ، والاشتقاق ص : ١٠١ ، وخزانة الأدب ٣ : ٢٢٧ ، ٤ : ١٤ .

(٤٣٨) يكنى جد النبى لأمه بأبى كبشة ، فأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وأم وهب بن عبد مناف بن زهرة هى كبشة بنت أبى كبشة الخزاعى . وكان المشركون يسمون النبى ابن كبشة ، وابن أبى كبشة ، وكان أبو كبشة الخزاعى مخالفاً لقريش فى عبادة الأوثان ، كان يعبد الشعرى العبور . (انظر الحور العين ص : ١٩٢) .

(٤٣٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢٠ حـ .

(٤٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣ .

لها بشعر الخمر والمجون ، فهو يتحدث فيها عن حبه لسلمى بنت سعيد بن خالد ، ومالاقى فيه من عذاب وعناء ، رواه له المبرد(٤٤١) ، وأبوالفرج(٤٤٢) ، وهو يقول فيها :

أنا الوليدُ الإمامُ مُفْتَخراً أَنْعِمُ بالى وأَتْبَعُ الغَزَلا
أَهْوَى سليمَى وهِيَ تَصْرِمُنِى وليسَ حقًّا جفاءُ من وَصَلا
غَرَّاءُ فرعاءُ يستضاءُ بها تَمْشِى الهُوَيْنَى إذا مَشَتْ فُضُلاَ
أَنْقُل رِجْلِى إلى مَجَالِسها ولا أُبالى مَقالَ مَنْ عَذَلا

ثم أنشد أبو العلاء المعرى(٤٤٣) البيتين الأول والرابع منها ، وعَدّل فيهما وزاد عليهما ثلاثة أبيات أخرى فى الفجور والكفر لم يذكرها له أحدٌ غيره . وهى تتوالى جميعاً على هذه الشاكلة :

أنا الإمامُ الوليدُ مُفْتَخراً أَجُرُّ بُرْدِى وأسمعُ الغَزَلا
أَسْحَبُ ذَيْلِى إلى مَنَازِلها ولاأُبالى مَنْ لاَمَ أوعَذَلا
ما العَيْشُ إلاَّ سماعُ مُحْسِنةٍ وقَهْوَةٌ تَتْرُكُ الفَتى ثَمِلاً
لا أَرْتَجِى الحُورَ فى الخُلودِ وهَلْ يَأملُ حُورَ الجِنانِ مَنْ عقَلا
إذا حَبَتْكَ الوِصَالَ غَانِيةٌ فَجازِهَا بَذْلَها كَمَنْ وَصَلاَ

وانفراد أبى العلاء المعرى برواية الأبيات الثلاثة الأخيرة ، قد يدل على أنه هو الذى صَنَعَها وأَلْحَقَها بالقطعة الغزلية الصحيحة ، ولم يستبعد ياقوت الحموى أنه نظم بعض الشعر المُلْحِد ، ونَحَلَهُ غيره من الشعراء(٤٤٤) . والأبيات الثلاثة الأخيرة أقرب إلى أسلوب أبى العلاء المعرى الذى يظهر فيه أَثر التَّكلّف والجهد منها إلى أسلوب الوليد الذى يَتَّصف بالبساطة والسهولة واللين فى الغزل ، إذ يَتَمَثَّلُ فيها تَمكُّنُ أبى العلاء من اللغة وتصرفه فيها ، وقُدْرَتُهُ على رَصْفِها واسْتِكْراهِ ألفاظها ، وإنزالها فى المواضع القلقة من الأبيات حتى تتم بها ، وتَسْتَقِيم قوافيها.

ومنه البيتان المشهوران :

تُـهَـدِّدنى بِـجَبَّارٍ عَـنِـيدٍ فها أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إذا ماجِئْتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرٍ فَقُلْ يارَبِّ مَزَّقنى الوَلِيدُ

وهما حكايةٌ أو ترجمةٌ شعرية لِخَبَر قَدَّمَ به لها كل من حمَلُوهما . وهو يجرى على هذا النحو :

---

(٤٤١) الكامل ٢ : ٢٨٩ .
(٤٤٢) الأغانى ٧ : ٤٤ .
(٤٤٣) رسالة الغفران ص : ٤٤٤ .
(٤٤٤) معجم الأدباء ١ : ١٩٠ ، وانظر الغفران لأبى العلاء المعرى ص : ١٦٤ .

« دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحفٍ ، فلما فَتَحهُ ، وافَقَ وَرَقَةً فيها : « واسْتَفْتَحُوا وخَابَ كل جبار عَنِيدٍ . مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ ويُسْقَى مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ » ، فقال : أَسَجْعاً سَجْعاً ! عَلِّقُوه ! ثم أخذ القَوْسَ والنَّبْلَ فَرماهُ حتَّى مَزَّقَهُ » .

وأبو الفرج هو أول من نَقَلُوا الشعر والخبر وعَزَوهما إلى الوليد ، إذ يقول : نسخت من كتاب الحسين بن فهم . . . قال : وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سليم »[٤٤٥] ثم رواهما الشريف المرتضى ، ونسبهما إلى الوليد بِسَنَدٍ ضعيف مُنْقَطع يختلف عن السَّنَدِ الذى نسخه أبوالفرج من كتاب الحسين بن فهم ، فهو يقول : « أخبرنى أبوعبيد الله المرزبانى قال : حدثنى أحمد بن كامل »[٤٤٦] . ثم أخذهما ابن شاكر الكتبى من مَصْدَرٍ مجهولٍ ، وأضافهما إلى الوليد بِسَنَدٍ ثالثٍ ضَعِيفٍ مُنْقَطِعٍ ، إذ يقول : « روى ابنُ المرزبان قال : حدثتنى امرأة قالت »[٤٤٧] .

وألصق الشعر والخبر بالوليد دون إسناد المسعودى[٤٤٨] . والمقدسى[٤٤٩] . وابن القارح[٤٥٠] . وابن الطقطقى[٤٥١] . ونشوان بن سعيد الحميرى[٤٥٢] . وابن الأثير[٤٥٣] . وابن تغرى بردى[٤٥٤] . والسيوطى[٤٥٥] . وابن العماد الحنبلى[٤٥٦] . وعبد القادر البغدادى[٤٥٧] .

والغالب أن الشعر والخبر مما وَضَعَهُ رواة الشيعة على الوليد فى القرن الرابع ، أو فى آخر القرن الثالث ، يؤيد ذلك ثلاثة أدلة : أولها أن علماء الشيعة وأدباءهم ومؤرخيهم فى القرن الرابع هم الذين تَعَلَّقُوا بالشعر والخبر وأشاعوهما ، إذ نسبهما إلى الوليد المسعودى وأبو الفرج ، ثم أخذهما عنهما المؤرخون والأدباء المتأخرون من الشيعة وغيرهم .

وثانى الأدلة ضعف السند وانقطاعه ، فهو لا يمتد عند الشريف المرتضى وابن شاكر الكتبى إلى

---

(٤٤٥) الأغانى ٧ : ٤٩ .

(٤٤٦) أمالى الشريف المرتضى ١ : ١٣٠ .

(٤٤٧) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .

(٤٤٨) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ .

(٤٤٩) البدء والتاريخ ٦ : ٥١ .

(٤٥٠) رسالة الغفران ص : ٣٣ .

(٤٥١) الفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢١ .

(٤٥٢) الحور العين ص : ١٩٠ .

(٤٥٣) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٠ .

(٤٥٤) النجوم الزاهرة ١ : ١٢٦ .

(٤٥٥) تاريخ الخلفاء (الطبقة الأوربية) ص : ١٦٧ .

(٤٥٦) شذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٤٥٧) خزانة الأدب ١ : ٣٢٨ .

القرن الثالث ، بل يقف عند القرن الرابع ، ولكن سلسلة الرواة التى نقلها أبوالفرج من كتاب الحسين ابن فهم المتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين[٤٥٨] ، هى التى توهم بأنَّ الشعر والخبر كانا متداولين فى القرن الثالث ، بل فى القرن الثانى ! فهى تشتمل على ثلاثة رواة ، ويبدو أنها مخترعة قصد منها إلى تأكيد الشعر والخبر ، فإن رواتها من المغمورين أوممن لم يعرفوا برواية الأشعار والأخبار ، وممن لاتتضح الروابط العلمية بينهم ، فعمرو شيخ الحسين بن فهم الذى روى عنه الشعر والخبر نكرة مجهول ، وكذلك أبوه ، ويحيى بن سليم أول رجال السند من علماء القرن الثانى الذى تنقطع صلات الأَخْذِ والتَّحَمُّلِ بينهم وبين عمرو وأبيه ، وليس فى ترجمته أنه كان مُهْتماً بالرواية الأدبية أوالتاريخية ، وروايته للحديث مختلف فى قيمتها ، فبعض العلماء يوثقونها ، وبعضهم يقدحون فيها ، ويتهمونه بالتخليط[٤٥٩] .

وسلسلة رواة الشعر والخبر عند الشريف المرتضى ضعيفة ، وهى تُرَجِّحُ أن الشيعة هم الذين زيفوهما ، فأبو عبيدالله المرزبانى الذى أخذ عنه الشريف المرتضى الشعر والخبر كان يَتَشَيَّعُ فى المذهب[٤٦٠] ، وأحمد بن كامل المتوفى سنة خمسين وثلاثمائة[٤٦١] من شيوخ المرزبانى ، وقد ولى قضاء الكوفة . وأتهمه المُحَدِّثُون بأنه «كان مُتَسَاهلاً ، وربما حدث من حفظه بماليس عنده فى كتابه ، وأهلكه العجب فإنه كان يختار ، ولايَضَعُ لأحد من العلماء والأئمة أصلا»[٤٦٢] . ويمكن أن يكون سمع الشعر والخبر من أحد رواة الشيعة بالكوفة .

ويقدح فى سلسلة الرواة التى ساقها ابن شاكر الكتبى – فضلاً عن ضَعْفها وانقِطاعها – أن محمد ابن خلف ابن المرزبان[٤٦٣] «إخبارىٌ لَيِّنٌ»[٤٦٤] وأنه أخذ الشعر والخبر عن امرأة مجهولة !

وثالث الأدلة أن الشعر والخبر لم يكونا متداولين بين مؤرخى القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ، إذ لم يعرفها خليفة بن خياط ، والبلاذرى وأبوحنيفة الدنيورى ، واليعقوبى ، والطبرى ومعلوم أن البلاذرى حشد أخبار الوليد وأشعاره الصحيحة والمنحولة بروايتها المدنية والعراقية التى تراكمت فى القرن الثالث ، ولم يهمل شيئاً منها . ولو كان الشعر والخبر مذكورين فى القرن الثالث ، لنقلها

---

(٤٥٨) ترجمته فى تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٦ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ .

(٤٥٩) ميزان الاعتدال ٤ : ٣٨٤ .

(٤٦٠) وفيات الأعيان ٤ : ٣٥٤ .

(٤٦١) ترجمته فى الفهرست ص : ٣٢ ، ومعجم الأدباء ٢ : ١٦ ، وميزان الاعتدال ١ : ١٢٩ .

(٤٦٢) تاريخ بغداد ٤ : ٣٥٨ .

(٤٦٣) ترجمته فى تاريخ بغداد ٥ : ٢٣٧ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٨٣ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

(٤٦٤) ميزان الاعتدال ٣ : ٥٨٣ ، ولسان الميزان ٥ : ١٥٧ .

البلاذرى ، ولما غفل عنها .

ومن شعر الوليد فى الخمر والمجون الذى يرجح أنه حُمِلَ عليه بيتان رواهما النواجى ، وهما :

قـــد جَعَلْنـــا طَوَافَنَا بالدِّنان حِينَ طافَ الوَرَى بِرُكْنِ يمانى

سَجَد السَّاجِدون لله حقًّا وَجَعَلْنَا سُجُودَنا للقَنَانى(٤٦٥)

ولم ينشدهما له ، ولانسبهما إليه أحد غير النواجى . وبعض ألفاظها المولدة كالقنانى التى لم يستعلمها الوليد فى شعره الخمرى تُسَوِّغ أنهما مما وضع عليه فى زمن متأخر .

فصورة إدمان الوليد للخمر فى أشعاره الصحيحة وأخباره الموثقة واحدة لا اختلاف فيها ولاتعارض بينها ، فهى تقطع بانهماكه فى الشراب ، وتكتمه بعض التكتم عليه ، وصورته فى أشعاره المنحولة ، وأخباره المفتعلة واحدة أيضاً فهى تُهَوِّلُ إغراقه فى الشراب ، وجهره به تهويلاً خياليًّا خرافيًّا .

ويستفاد من أشعاره الصحيحة أنه لم تكن له غاية من معاقرة الخمر سوى الترفيه عن نفسه ، والانفصَال من ماضيه ، والهرب من أحزانه ، فقد وصف فيها تهافته على الخمر ومتعته بها ، وما كانت تبعثه فى نفسه من حيوية ونشاط وتفاؤل . ولم يَتَماجَن إلَّا فى قطعة واحدة من شعره الخمرى الصحيح ، وهو تماجن لم يقصد منه إلى مهاجمة الدين وإنكاره ، أو رفض الإسلام وجحده ، وإنما أراد به العبث بخصومه ، والاستخفاف بناصحيه ، وقاده تطرفه فى الرد عليهم إلى التشكيك فى يوم القيامة والحساب تشكيكاً خفيفاً إغاظةً لهم ، ونكايةً بهم .

٤ – الوليد والعشق والغزل

تطورت المفاهيم والقيم الاجتماعية فى البيئات الأموية المدنية تطوراً كبيراً ، لامتزاج العرب فيها بالأمم الأخرى ، وكثرة ماجلب إليهم من الرقيق ، ووفرة ماحازوا من الجوارى . وهو تطور نجم عنه انفساح العلاقة بين الرجل والمرأة وتحررها من الأعراف والقيود البدوية القبلية كما نجم عنه ازدهار فن الغزل وارتقاء أسلوبه ومضمونه ارتقاءً شديداً إذ تخصص فيه شعراء كبار عاشوا له ، ومازالوا يُنَمُّونه حتى فصلوه عن القصائد التقليدية التى كان شعراء الجاهلية يُقَدِّمون به لها ، إذ صاغوه فى قصائد ومقطوعات مستقلة ، فيها رشاقة ورقة ، وعبروا فيه عن حُبِّهم للجمال ، وعشقهم للحسان ، ولقائهم بهن ، وفرحتهم بمواصلتهن ، وما كن يبادلهم من عواطف الود والشوق والإعجاب . وكان عمر بن

(٤٦٥) حلبة الكميت ص : ٩٨ .

أبى ربيعة ، وابن قيس الرقيات ، والأحوص ، والعرجى هم الذين نهضوا بالغزل فى المدينة ومكة[٤٦٦] .

وتجاوز شعراء العراق فى الكوفة والبصرة حدود الحرية والوقار التى رعاها جمهور شعراء مدن الحجاز الغزلين ، إذ استحال الغزل عندهم ضرباً من الإباحة ، فصوروا فيه شهوتهم للنساء ، وتهافتهم على الإماء ، ومعابثتهم لهن ، وإفضاءهم إليهن ، لما شاع فى الكوفة خاصة من تيارات الشك والمجون والانحلال والتَّفَسُّخ ، بسبب أوضاعها السكانية والثقافية والسياسية المعقده[٤٦٧] . وهى تيارات لم تلبث أن انتقلت إلى البصرة وغزتها ، فَقَلَّد بعض شعرائها شعراء الكوفة فى غزلهم الفاحش البذىء[٤٦٨] .

وعلى نحو ما كَلِفَ الناس والشعراء من البيئات المدنية المختلفة بالجوارى ، فقد كلف بهن خلفاء بنى أمية ، وامتلكوا كثيراً منهن ، واتَّخذوهن وصائف ومتاعاً لهم ، وقوى شغفهم بهن وتَنَامَى على امتداد أيامهم . فقد كان لمعاوية نَخَّاسون يأتون له بالإماء[٤٦٩] . وأغرم ابنه يزيد بهن ، وكان إذا أحب إحداهن ممن عند غيره من الأشراف لايَكُفُّ عن طلبها حتى يفوز بها . وينتزعها من صاحبها[٤٧٠] . وكان لعبد الملك وصائف يَخْدِمْنَهُ ، ويَظْهَرْنَ فى مجالسه ، ويَطَّلِعْنَ على كتبه إلى عماله[٤٧١] .

وازداد ولع أبناء عبد الملك بالجوارى ، وأعلنوا ولعهم بهن ، واستكثروا منهن استكثارا شديداً ، إذ يروى المدائنى[٤٧٢] والواقدى[٤٧٣] أن الوليد بن عبد الملك تزوج فى خلافته ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء ، وكان يطلق الثلاث والاثنتين والواحدة . وكان سليمان بن عبد الملك صاحب نكاح[٤٧٤] .

---

(٤٦٦) حديث الأربعاء ١ : ١٨٤ ، والعصر الإسلامى ص : ٣٤٧ ، وتاريخ الآداب العربية ص : ١٢٣ ، وتطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ص : ٣٤٩ .

(٤٦٧) حياة الشعر فى الكوفة ص : ٥٥٩ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ٩٣ ، واتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى ص : ٢٠٤ ، ٥٠٢ ، واتجاهات الغزل فى القرن الثانى الهجرى ص : ١٣٢ .

(٤٦٨) طبقات ابن المعتز ص : ٨٨ ، والحياة الأدبية فى البصرة ص : ٤٨١ ، وحركات الشيعة المتطرفين ص : ٢٦٩ ، والجاحظ فى البصرة ص : ٨٧ .

(٤٦٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٨٨ . ورسائل الجاحظ ٢ : ١٥٥ .

(٤٧٠) البداية والنهاية ٩ : ٣٤ .

(٤٧١) رسائل الجاحظ ٢ : ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٤٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٠٥ .

(٤٧٣) البداية والنهاية ٩ : ١٦٥ .

(٤٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٧ .

فهام بالجوارى ، وهام الناس فى عهده بهن . وأحبهن يزيد بن عبد الملك . وأظهر صبابته بجبابة وسلامة منهن . وامتلك هشام بن عبد الملك منهن مالم يمتلكه غيره من إخوانه . إذ كان عنده مائة جارية من حسان النساء [٤٧٥] ، كان بعضهن يلازمنه فى حِلِّهِ وتَرْحَاله ، ويخرجن فى مجالسه ، ويقمن بحوائجه [٤٧٦] .

واغرم بهن يزيد بن الوليد ، ولكنه كان ينتقى أظرفهن وأكثرهن دلاً وأدباً ، وأحسنهن إتقاناً للغناء . وَلَبّى له المُقَيِّنون ماطلب منهن ، فكانوا يفدون عليه من العراق [٤٧٧] والحجاز [٤٧٨] حاملين إليه جواريهم ، فاجتمع له منهن مغنيات مشهورات مثل جاريته سعاد [٤٧٩] ، وجاريته صَدُوف [٤٨٠] ، وسواهما من المغنيات الحاذقات [٤٨١] ، ويضيف ابن عبد ربه أنه عكف على حب القيان ، ومعاشقة النساء [٤٨٢] ، ويصفه الجاحظ بأنه «كان المُقَدَّم فى اللهو والغزل» [٤٨٣] .

وما من ريب فى أن الوليد شغف بالجوارى والقيان شغفاً قوياً ، إذ تميز من سابقيه من الخلفاء المراوئين بحسٍّ الشاعر المرهف ، المقدر للجمال ، المفتون به ، فكان يعجب به إعجاباً طاغياً كلما رآه أو وقعت عليه عيناه ، وكان يُعَبِّر عن إعجابه البرئ به تعبيراً صريحاً فى شعره ، فقد مرَّ وهو يَتَصَيَّد بنسوة من بنى كلب من بنى المنجاب ، فوقف عليهن ، واسْتَسْقاهن وحدثهن وأَمَر لهنَّ بِصلة ، ثم مَضَى وهو يقول مصوراً انفعاله بِحُسْنِ إحداهن [٤٨٤] :

ولقدْ مَرَرْتُ بِنسْوَةٍ أَعْشَيْنَنِى ... حُورِ المدامع من بنى المِنْجابِ
فيهنَّ خَزْعَبَةٌ مَليحٌ دَلُّها ... غَرْثَى الوشاحِ دقيقةُ الأنيابِ [٤٨٥]
زَيْنُ الحواضرِ ماثَوَتْ فى حَضْرِها ... وتَزِينُ بادِيها من الأعراب

---

(٤٧٥) البداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .
(٤٧٦) الأغانى ٦ : ٧٧ .
(٤٧٧) الأغانى ٧ : ٢٢ .
(٤٧٨) الأغانى ٧ : ٥٠ .
(٤٧٩) الأغانى ٧ : ٢٢ .
(٤٨٠) الأغانى ٧ : ٤٤ .
(٤٨١) الأغانى ٧ : ٥٢ .
(٤٨٢) العقد الفريد ٤ : ٤٥٢ ، ٤٥٤ .
(٤٨٣) رسائل الجاحظ ٢ : ١٦٠ .
(٤٨٤) الأغانى ٧ : ٤٨ .
(٤٨٥) الخزعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . غرثى الوشاح : ضامرة البطن ، دقيقة الخصر .

ونظر إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، وقد مروا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلما رآها أعجبته وراعَهُ جمالها وحسنها ، فسأل عنها ، فقيل له : إن لها زوجاً فأنشأ يقول واصفاً افتتانه بها وطيب ريقتها(٤٨٦) :

إنما هـاجَ لِـقَـلْبِي شَجْوَهُ بَعْدَ المَشيبِ
نَظْرَةٌ قد وَقَرَتْ فى الْقَلْبِ منْ أمِّ حَبيبِ
فـإذا مـاذُقْتَ فـاهَـا ذُقْتَ عَذْباً ذا غُروبِ(٤٨٧)
خَالَطَ الرَّاحَ بِمِسْكٍ خـالصٍ غيرِ مَشُوبِ

وإنما شهر الوليد بالعشق والغزل شهرة واسعة تطليقه لزوجه سعدة بنت سعيد بن خالد ، بعد حبه لأختها سلمى ، وكثرة مانسب فيها ، وتَغَنَّى بحرمانه منها قبل أن يقترن بها ، وهى شهرة نتج عنها اختلاط شعره الغزلى بشعر غيره من الشعراء اختلاطاً سببه السَّهْوُ وقلة التدقيق ، فكان ورود اسم سعدة أو سلمى فى شعر بعض الشعراء كافياً لأن يَحْمِلَهُ الرواة عليه . ومن العشر الغزلى الذى ينسب إليه وإلى سواه من الشعراء ، ولايُعْرَفُ صاحبه الحقيق قطعة ذكر فيها اسم سعدة وهى تجرى على هذه الشاكلة :

أَسَعْدَةُ هَلْ إليك لنَا سَبِيلٌ وهلْ حتَّى القيامةِ من تلاقى
بلَى ولَعَلَّ دَهْراً أن يُوَافِى بموتٍ من حليلك أو طلاقِ
فأُصْبِحَ شامتاً وتَقَرَّ عَيْنِى ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعدَ افتراقِ
فَطَلِّقْها فلستَ لها بِكُفْءٍ ولو أعطيتَ هِنْداً فى الصَّداقِ

فقد عزاها أبو الفرج إلى الوليد(٤٨٨) . وتابعه فى ذلك ابن خلكان(٤٨٩) ، والنويرى(٤٩٠) ، لأنهما نقلا الخبر والشعر عنه . وعزاها البلاذرى إلى عِبد الله بن عمرو بن الوليد بن عقبة(٤٩١) ، وأضافها أبن عساكر إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك(٤٩٢) .

ومنه قطعة ثانية ورد فيها اسم سلمى وهى تتوالى على هذا النمط :

عُوجا خَلِيلىَّ عَلَى الْمَحضَرِ والرَّبْعِ من سَلاَّمَةَ الْمُقفِرِ

---

(٤٨٦) الأغانى ٧ : ٥٥ .
(٤٨٧) الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وَبَلَلُهُ . وغروب الأسنان : مناقع ريقها .
(٤٨٨) الأغانى ٧ : ٢٧ ، ١٩ : ١٧٠ .
(٤٨٩) وفيات الأعيان ٢ : ٤٧٤ .
(٤٩٠) نهاية الأرب ٤ : ٣١ .
(٤٩١) أنساب الأشراف ٥ : ١٨٢ .
(٤٩٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧١ .

عُوجا بهِ فاسْتَنْطِقاهُ فقدْ ذَكَّرنِى ماكنت لم أَذْكرِ
ذَكَّرنى سَلْمَى وأَيَّامَها إذْجَاوَرَتْنَا بِلِوَى عَسْجَرِ
بالرَّبْعِ مِن وَدَّانَ مبدًى لنا ومَحْوراً ناهيكَ مِنْ مَحْورِ
فى مَحْضَرٍ كُنَّا بِهِ نَلْتَقِى ياحَبَّذا ذلك مِنْ مَحْضَرِ
إذْ نَحْنُ والحىُّ به جِيرَةٌ فيما مضَى من سالِفِ الأَعْصُرِ

فقد أنشدها أبو الفرج للوليد . وأشار الى اختلاف الرواة فى صاحبها ، إذ قال : إنها تنسب إلى عمر ابن أبى ربيعة وإلى العرجى[٤٩٣] ، ثم جزم بأنها للوليد دون دليل . وهى ليست فى ديوان عمر بن أبى ربيعة ، ولافى ديوان العرجى برواية ابن جنى . والأرجح أنها ليست للوليد ، لأن المواضع التى ذكرت فيها مثل ودَّان وعَسْجَر ليست بالشام ، بل بمكة والمدينة فودان قرية بين مكة والمدينة [٤٩٤] ، وعَسْجَر موضع بمكة [٤٩٥] ، والوليد لا يذكر فى غزله أوفى غيره من موضوعات شعره إلا الأماكن الشامية وربما كانت القطعة للعرجى ، فهو يشبب بسلمى فى شعره كثيراً[٤٩٦] .

وبعض الغزل البرىء والذى اختلط بشعره لورود اسم سلمى فيه ليس له على وجه التحقيق وإنما هو لشعراء آخرين معروفين ومنه هذه الأبيات :

أَسَلْمَى تلك فى العِيرِ قِفِى إنْ شِئْتِ أَوْسِيرى
فلمَّا أنْ دَنَا الصُّبْحُ وأصواتُ العصافيرِ
خَرَجْنَا نَتَّقِى الشَّمْسَ مطايَا القومِ كالعُورِ
إذا ماأَعْرُضٌ حَالَتْ سَدَدناهَا بِتَصْدِيرَ

فقد رواها له الجاحظ[٤٩٧] ، والبلاذرى[٤٩٨] . وهى مقدمة قصيدة طويلة ليزيد بن ضَبَّة مولى ثقيف فى مديح الوليد بن يزيد[٤٩٩] !

وإذا كانت المقطوعات الغزلية العفيفة السابقة قد امتزجت بشعره خطأً ، فإن رواة الشيعة وعلماء أهل السنة من الفقهاء والمحدثين ومن أخذ عنهم من الأدباء والمؤرخين المتأخرين أقحموا فى شعره غير

---

(٤٩٣) الأغانى ٣ : ٣٦٦ .
(٤٩٤) معجم البلدان ٤ : ٩١٠ .
(٤٩٥) معجم البلدان ٣ : ٦٧٢ .
(٤٩٦) ديوان العرجى ص : ٦٣ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١٦٦ .
(٤٩٧) الحيوان ٢ : ٢٩٦ ، ٥ : ٢٢٨ .
(٤٩٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ .
(٤٩٩) الأغانى ٧ : ٩٧ .

قليل من الغزل العَاهِر الدَّاعر ، له رود اسم سلمى فى بعضه إفساداً لجميع أخباره وأشعاره ، وترسيخاً لما ألصقوه به من الفسق والتَّهتُّك. فقد أنشد له البلاذرى[٥٠٠] ، وابن عبد ربه[٥٠١] هذه الأبيات :

ألا لَيْتَ الإله يُحينُ سَلْمَى ... فإنَّ الله يَفْعَلُ ما يشاءُ
فَيُخْرِجُها فَيَطْرَحُها بأرْضٍ ... ويُرْقِدُها وقد سَقَطَ الرِّداءُ
ويأْتى بى فَيَطْرَحُنى عليها ... فأُوقِظها وقد قُضِىَ القَضاءُ
ويُرْسِلَ ديمةً سَحًّا علينا ... فَيَغْسِلَنا فلا يَبْقَى العَناءُ

وهى تطفح بالمجون والفجور والأحلام السخيفة التى تدل على شخصية معقدة عاجزة ممايخالف مضمون غزل الوليد البرىء والشفاف ، ومماليُسفُّ إليه من هو فى مثل حاله وقدرته . وأبو اليقظان – وهو من غلاة الشيعة وممن جرَّحه العلماء[٥٠٢] هو الذى نحلها له ، لأن البلاذرى حملها عنه . ومايقطع بأن أبا اليقظان هو أول من دَسَّها فى شعره أن الأصمعى[٥٠٣] أنشدها لبدوى عاشق ، أضناه العشق وذهب بعقله .

وأشد من القطعة السابقة تَعَهُّراً قطعة أخرى رواها له أبو الفرج فقال : « نسخت من كتاب الحسين ابن فهم ، قال النضر بن حديد : حدثنى ابن أبى جناح قال : أخبرنى عمر بن جَبَلة أن الوليد ابن يزيد بات عند امرأة وَعَدَتْهُ المبيت ، فقال حين انصرف :

قامتْ إلىَّ بِتَقْبِيلٍ تُعَانِقُنى ... رَيَّا العِظام كأنَّ المِسْكَ فى فِيها
أُدْخُلْ فَدَيْتُكَ لا يَشْعُر بنا أحدٌ ... نَفْسى لِنَفْسِكَ منْ دَاءٍ تُفَدِّيها
بِتْنَا كذلكَ لانَوْمٌ على سُرُرٍ ... مِنْ شِدَّةِ الوَجْدِ تُدْنِينى وأُدْنِيها
حتى إذا ما بَدا الخَيْطانِ قلتُ لها : ... حانَ الفِراقُ فكادَ الحُزْنُ يُشْجِيها
ثم انْصَرَفْتُ ولم يَشْعُرْ بنا أَحَدٌ ... والله عَنِّى بِحُسْنِ الفِعْلِ يَجْزِيها[٥٠٤]

وهذا شعر إباحىٌّ يُجَافى روحَ غزل الوليد ، ويُنافى معانيه ومبانيه الساذجة البسيطة ومن كان له سلطانُهُ و سَطْوَتَهُ وكان الجوارى بين يديه ، والحسانُ طوعَ أمره لايَتَعَقَّبُ البغايا الساقطات ولايغامر فى سبيلهن .

---

(٥٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٥ .
(٥٠١) العقد الفريد ٤ : ٤٥٤ .
(٥٠٢) لسان الميزان ٧ : ٤٩٠ ، وميزان الاعتدال ٣ : ٥٠ .
(٥٠٣) حلية الكميت ص : ٩٢ .
(٥٠٤) الأغانى ٧ : ٤٧ .

وسلسلة الرواة فيها فجوات ومطاعن تُرَجِّح أن الخبر والشعر مما وُضِعَ عليه فالنضر بن حديد ليس من شيوخ الحسين بن فهم [٥٠٥]. وهو شخصية مجهولة ، وبقية رجال السند الذين أخذ النضر الخبر والشعر عنهم من المطمورين الذين لم يذكرهم أصحاب كتب التراجم على اختلافها .

وأكثر منها فجوراً واستهتاراً بالدين قطعتان أخريان روى الأولى أبو محمد السراج [٥٠٦]، وابن عساكر [٥٠٧] ، والذهبي [٥٠٨] ، وابن شاكر الكتبي [٥٠٩] ، وابن كثير [٥١٠] ، وروى الثانية ابن عساكر [٥١١] ، وابن شاكر الكتبي [٥١٢] ، وابن كثير [٥١٣] وقدَّموا لها بهذا الخبر فقالوا : قال المعافا ابن زكريا عن شيوخه : كان الوليد بن يزيد ينظر إلى جارية نصرانية من حسان النساء ، يقال لها : سَفْرَى ، فَجُنَّ بها ، وجعل يراسلها وتأبىَ عليه حتى بلغه أن عيداً للنصارى قد قَرُب وأنها ستخرج فيه ، وكان فى موضع العيد بستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصانع الوليد صاحب البستان أن يُدْخِلَه فينظر إليها ، فتابعه . وحضر الوليد وقد تَقَشَّفَ وغَيَّر حُلَّته ودخلت سفرى البستان ، فجعلت تمشى حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ فقال لها : رجل مصاب . فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتغى من النظر إليها ومن حديثها . فقيل لها : ويلك ! أتدرين من ذلك الرَّجُل ؟ قالت : لا ، فقيل لها : الوليد بن يزيد . وإنما تقشف حتى ينظر إليك ، فَحَنَّتْ إليه بعد ذلك وكانت عليه أحْرَصَ منه عليها فقال الوليد فى ذلك :

أَضْحَى فُؤادُك ياوليدُ عَمِيدا ... صَبًّا قديماً للحسان صَيُودَا
من حُبِّ واضحة العَوارِض طَفْلَةٍ ... بَرَزَتْ لنا نَحْوَ الكنيسة عِيدَا
مازلتُ أَرْمُقُها بِعَيْنَيْ وَامِقٍ ... حتَّى بَصُرْتُ بها تُقَبِّلُ عُودَا
عُودَ الصَّلِيب فَوَيْحَ نفسى مَنْ رأى ... منكمْ صَلِيباً مِثْلَهُ مَعْبُودَا
فسألتُ ربِّى أنْ أكونَ مكانَهُ ... وأكونَ فى لَهَبِ الجحيم وَقُودَا

---

(٥٠٥) انظر شيوخه فى تاريخ بغداد ٨ : ٩٢ ، ولسان الميزان ٢ : ٣٠٨ ، وميزان الاعتدال ١ : ٥٤٥ .
(٥٠٦) مصارع العشاق ٢ : ١٦٨ .
(٥٠٧) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ .
(٥٠٨) تاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ .
(٥٠٩) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .
(٥١٠) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .
(٥١١) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ .
(٥١٢) عيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ ، حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ .
(٥١٣) البداية والنهاية ١٠ : ٧ .

وقال فيها لما ظهر أمرُه وعَلِمَه النَّاسُ :

أَلاَ حبَّذا سَفْرَى وإنْ قِيلَ إننى كَلِفْتُ بِنَصرانيَّة تَشرَبُ الخَمْرا
يَهُونُ علينا أَنْ نَظَلَّ نهارَنا إلىَ الليلِ لاظُهْراً نُصَلِّى ولا عَصْراَ

وأسلوب القصص ظاهر فى الخبر والشعر ، والشعر حكاية للخبر ، وربما كانا مما افتعله عليه المتأخرون وَوَلَّدوه من قصة طوافه بقصر سعيد بن خالد مُتَنكِّراً بزىِّ زيات ليرى صاحبته سلمى ، ومانظم فى الحادثة من شعر ، فإن أحداً من الرواة والإخباريين والمؤرخين لم يذكرهما حتى العقد التاسع من القرن الرابع ، مع أن البلاذرى وأبا الفرج حَفِظا السَّليم والسَّقيم من شعر الوليد الغزلى .

والمُعَافَا بن زكريا المتوفى سنة تسعين وثلاثمائة هو أول من ساق الخبر والشعر ، ثم نقلها عنه العلماء فى القرون التالية . وهو من الفقهاء الذين أخذتهم الغَيْرَةُ على الخلفاء ، والعصبية للإسلام حين سمع بأخبار الوليد وأشعاره المزيفة التى تَعُجُّ بالانحلال والإباحة والانسلاخ من الدين ، وكان فيه تعسف واندفاع وتحامل شديد على الوليد ، فجعل هَمَّه أن يُؤكِّد كلَّ ماوُضِعَ عليه ، وأن يُحقِّق كل مَارُمِى به ، فاختار من أخباره وأشعاره المصنوعة أوالمنحولة أرْدَأها وأسْوأها وأدلَّها على الخلاعة والفسق والإشراك بالله ، وهو نفسه يفصح عن ذلك فى تضاعيف كتابه الذى صَنَّفَهُ فى سيرة الوليد ، إذ يقول : « جمَعت فى كتابى من أخبار الوليد وأشعاره ماضَمَّنَهُ مافَجَرَ به من خُرُقِه وسخافته وخسارته وحُمْقه وماصَرَّح به من الإلحاد فى القرآن والكفر بالله »(٥١٤) .

فهو ليس بمنصفٍ ولا معتدلٍ ولا مأمونٍ ، إذ يُعْلِنُ أن غايته من كتابه التشهيرُ بالوليد ، والتنديد به ، وسَرْدُ كلِّ ماشُنِّعَ به عليه ، فقبل لذلك كل ماحُمِل عليه من خبيث الأشعار ، وفاسد الأخبار ، وكان له دورٌ كبيرٌ ، وتأثيرٌ واسعٌ فيمن جاء بعده من المؤلفين ، فقد اقتبسوا من كتابه الأشعار والأخبار المخترعة أوالمدسوسة على الوليد ، ونقلوا منه أحكامه المُجْحِفَةَ المُتَعَسِّفة ، ورددوها دون فَحْصٍ أوتمحيص .

فأشعار الوليد الغزلية الصحيحة عفيفة بسيطة فى دلالاتها وظلالها وتراكيبها وأسلوبها وأشعاره الغزلية العاهرة تشاكل أخباره الغزلية الفاجرة ، وهى جميعاً مما افتراه عليه ، أونحله له رواة الشيعة ، وغيرهم من الأدباء والمؤرخين المُتَحيِّزين أوغير المدققين .

---

(٥١٤) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨١ ظ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ .

٥ – الوليد وسباق الخيل

كان سباق الخيل رياضة من رياضات أشراف العرب وفرسانهم فى الجاهلية ، وظلوا مشغوفين به فى صدر الإسلام[٥١٥] ، وفى كتب الخيل أخبار وفيرة تصور عناية أهل الأمصار بالخيول ، فى أيام بنى أمية ، وفراسة بعضهم بها ، وحِرْصَ عِلْيَتهم وَسَرَوَاتهم على امتلاك أَعْتَقها ، وصيانَتهم لها ، ومفاخَرَتهم بأنسابها ، وتمجُّدَهم باقتناء أعرقها[٥١٦] ، وما كانوا يَعْقِدُون من مُسَابقات بينها ، ومراهنات عليها فى البصرة[٥١٧] ، والكوفة[٥١٨] ، والمدينة[٥١٩] ، واليمامة[٥٢٠] ، ودمشق[٥٢١] ، وخراسان[٥٢٢] .

ويتقدم الخلفاء والأمراء الأمويون سادة العرب فى الاهتمام بالخيول والسباق تقدماً كبيراً ، فقد كان معاوية عارفاً بالخيول وأنواعها وسلالاتها[٥٢٣] ، وكان ابنه يزيد فارساً معدوداً ومسابقاً مذكوراً[٥٢٤] .

واحتفل الخلفاء المروانيون بالخيول احتفالاً شديدًا ، فسِيقَتْ لهم من كافة البلدان ، وجمعوا لأنفسهم أكرمها وأجودها ، وأنفقوا عليها الأموال الطائلة ، إذ خصصوا لها ساسة ، ومُدَرِّبين ، وأنشأوا لها الحلبات الواسعة ، وأقاموا بينها المسابقات الضخمة .

وفى أخبار عبدالملك بن مروان أن الخيل كانت تُهْدَى إليه[٥٢٥] ، فكان يَهَبُها لأبنائه ، فيسابقون بها[٥٢٦] ، وآثر ابنه الوليد بآصلها ، وكان محبا للخيل حبًّا عظيماً ، فانهمك فى السباق فى أثناء ولايته

---

(٥١٥) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ، لابن الكلبى ص : ٢ ، وكتاب الخيل ، لأبى عبيدة ص : ٢ ، وحلية الفرسان وشفار الشجعان ص : ١٤١ .

(٥١٦) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٩ ، وكتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٧٩ ، وأسماء خيل العرب وفرسانها ، لابن الأعرابى ص : ٥١ .

(٥١٧) كتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٨٤ ، ونسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٢ ، ٤٣ .

(٥١٨) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٧ .

(٥١٩) المصدر نفسه ص : ٤٥ .

(٥٢٠) المصدر نفسه ص : ٤٥ .

(٥٢١) المصدر نفسه ص : ٤٥ ، ٤٦ .

(٥٢٢) المصدر نفسه ص : ٤٤ .

(٥٢٣) مروج الذهب ٤ : ٣٤٧ .

(٥٢٤) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٣ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٣٠٢ .

(٥٢٥) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٧ .

(٥٢٦) المصدر نفسه ص : ٤٤ .

للعهد انهماكاً مُتصلاً ، وكان يُجْرى الخيل مع أترابه من الأمراء السفيانيين ، كعبد الله بن يزيد ابن معاوية[٥٢٧] ، فلما استخلف زاد غرامه بالخيل فامتلك أشرفها وأقام السباق بينها فى مناسبات عديدة ، كانَ يَؤُمُّها الهواة والمحترفون من فرسان العرب بنجد[٥٢٨] ، والحجاز[٥٢٩] ، والعراق[٥٣٠] ، ويشاركون فيها .

وباراه هشام فى الاحتفاء بالخيل والسباق ، وتفوق فيه عليه ، فكان يستجيد الخيل العتاق ويشتريها[٥٣١] ، ولكنه لم يكن فارساً رشيقاً خفيفاً ، فقد كان فيه ثقل ، فكان مُغَلَّباً لا يكاد يَتَقَدَّمُ منافسيه فى السباق إلا نَّادراً وكان إذا فاز يُسَر ويَبْتَهِجُ ابتهاجا شديداً ، ويسأل الشعراء أن يُخَلِّدوا فَوْزَه بقصائدهم ، ويمدحوه ويمدحوا خيله ، وفى ذلك يقول ابن قتيبة : كان هشام بن عبد الملك مُسَبِّقاً لا يكاد يَسْبِقُ فَسَبَقَ ذات يوم على فرس له أنثى ، وصَلَّى على ابنها ، ففرح وقال : عَلَىَّ بالشعراء ، قال أبو النجم : فدعينا ، فقيل لنا : قولوا فى هذه الفرس السابقة وفى ابنها ، فقال أصحاب القصيد : أَنْظِرنا حتى نقول ، وقلت فى مقامى ذلك : هل لك فى رجل يَنْقُدُكَ إذا استَنْسَقُوك ؟ قال : هاته فقلت من ساعتى :

أشاع لِلْفَرَّاء فينا ذِكْرَها ... قوائمٌ عُوجٌ أَطَعْنَ أَمْرَها
وما نَسِينَا بالطريق مُهْرَها ... حين نَقِيسُ قَدْرَهُ وقَدْرَها
وضَبْرَهُ إذْ أَوْعَثَا وضَبْرَهَا ... والماءُ يَعْلو نَحْرَهُ ونَحْرَهَا[٥٣٢]
مَلْبُونةً شَدَّ المليكُ أَسْرَها ... أسفَلَها وبَطْنَها وظَهْرَها[٥٣٣]
قد كادَ هَاديها يكونُ شَطْرَهَا ... لا تَأْخُذُ الحَلْبَةُ إلاَّ سُؤْرها[٥٣٤]

وكان إذا سَبَقَتْ خَيْلُهُ خَيْلُ غيره يَحْتَدُّ ويثور ، وفى ذلك يقول البلاذرى : « كان خالد القسرى حَبَس عمر بن هبيرة لما عزله هشام وَوَلَّى خالداً على العراق . ثم هرب ابن هبيرة فلما قدم على هشام

---

(٥٢٧) معجم الأدباء ٤ : ١٦٦ .
(٥٢٨) كتاب الخيل ، للأصمعى ص : ٣٨٥
(٥٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ١١٤ .
(٥٣٠) معجم الأدباء ٤ : ١٩٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٤٧ .
(٥٣١) نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٥ ، ٤٦ ، ومروج الذهب ٣ : ٢١٧ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٣ .
(٥٣٢) الضبر : وثب الفرس جامعا قوائمه . أوعثا : جريا فى الوعث والسهل تغيب فيه الأقدام .
(٥٣٣) ملبونة : سقيت اللبن وربيت عليه .
(٥٣٤) الشعر والشعراء ص : ٦٠٥ .

وأَمَّنَهُ كادَهُ الأَبْرَشُ الكلبي وأصحاب خالد بن عبد الله ، فأعَدُّوا مائة من خيل المضمار بساستها وقُوامها ، فَقَدَّموها وأضْمروها ، وأمروا مُجْريها أَنْ يعرضوا بها هشاماً إذا ركَبَ يَوْماً . فَعُورِضَ بها ، فسأل عنها ، ورأَى خيلاً لا يعرفها لنفسه ، فقالوا : هذه لابن هبيرة ، فاسْتَشاطَ غَضَباً ، وقال : واعجباً ! اختان ما اختان ، ثم قدم ! فوا الله مارضيت عنه بعد »(٥٣٥) .

وفى أخباره أنه وَسَّعَ الحَلْبَةَ ، ومَدَّ الغَايَة ، وسابَقَ بين آلاف الخيول من كافة الأمصار ، إذ يقول هشام بن محمد بن السائب الكلبي : « قال هشامٌ يوماً لِقُوَّامِهِ على خيله : كم أكثرُ ما ضَمَّتْ حَلْبَةٌ من الخيل فى الجاهلية والإسلام ؟ قالوا : ألف فرس ، وقيل ألفان . فأمر أن يُؤَذَّنَ بالناس بِحَلْبَة تضُمُّ أربعة آلاف فرس . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، يَحْطُم بَعْضُها بَعْضاً . فلا يَتَّسعُ لها طريق . فقال : نُطْلِقُها ونَتَوَكَّل على الله ، والله الصَّانع ، فجعل الغاية خمسين ومائتى غَلْوة والقَصَب مائة ، والمقوس ستة أسهم . وقاد إليه الناس من كل أوب ، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قُبَيْل الحلبة بأيام ، فأصلح طريقا واسعاً لايضيق بها ، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه ، وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع ، وجعل الناس يَتَراؤونها حتى أقبل الزائد كأنه ريحٌ لايَتَعَلَّقُ به شيء حتى دخل سابقا ، وأخذ القصبة ، ثم جاءت الخيل بعد ذلك أفْذاذاً وأفواجاً ووثب الرجاز يرتجزون منهم المادح للزائد ، ومنهم المادح لفرسه ، ومنهم المادح لخيل قومه ، فوثب حفص الأموى مولاهم وقام مُرْتَجزاً يقول :

إنَّ الجوادَ السَابقَ الإمامُ خليفةُ الله الرِّضَى الهُمَامُ
إنَّ هشاماً جَدهُ هشامُ مقابَلٌ مُدابِرٌ هَضَّامُ
جَرَى بهِ الأخوال والأعمامُ نَجْلٌ كنجلٍ كُلُّهُمْ قدامُ
سَنُّوا لهُ السَّبْقَ وما اسْتَقَامُوا حتى اسْتَقامَ حيثُما اسْتَقَاموا
وأَحْرَزَ المجدَ الذى أقامُوا أَطْلَقَ وهو يَفعٌ غُلامُ
فى حَلْبَةٍ تَمَّ لها التمامُ من آل فِهْرٍ وهُم السَّنامُ
فَبَذَّها سَبْقاً وما أَلامُوا كذلك الزائدُ يومَ قامُوا
أتى بَبَدءِ الخيْلِ مايُرامُ مُجَلِّياً كأَنَّهُ حُسَامُ
سَبَّاقُ غاياتٍ لها ضِرامُ لايَقْبَلُ العَفْوَ ولايُضَامُ
وَيْلُ الجيادِ منهُ ماذا رامُوا سَهْمٌ تَفِرُّ دونَهُ السِّهامُ

فأعطاه هشام يومئذ ثلاثة آلاف درهم ، وخَلَعَ عليه ثلاث حُللٍ من جَيِّدِ وَشْى اليمن وحمله على

(٥٣٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .

فرس من خيله السوابق ، وانصرف معه ينشده هذا الرجز حتى قعد فى مجلسه ، وأمر بملازمته فكان أثيراً عنده »(٥٣٦) .

وفُتن الوليد بن يزيد بركوب الخيل والسباق بها ، وكان فيه قوة وفتوة ، وكان بصيراً ، بالخيل ، فانتقى لنفسه أعتقها وأكرمها ، إذ يروى المدائنى « أن رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً . وكان فيها فرس مربوع ، قريب الركاب ، فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فَنَهَر الرجل وشَتَمه وقال : أتجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! رُدُّوه عليه ، فَرَدُّوه فلما خرج وَجَّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ، فهو فرسه الذى يسميه السّندى »(٥٣٧) .

وهو يتحدث فى شعره عن عشقه للخيل ، ومعرفته بها ، وتدريبه لها ، وادخاره إياها للسباق ، إذ يقول فى فرسه السّندى وتمرينه له ، مفاخراً به هشاماً(٥٣٨) :

قد أغْتَدى بذى سَبِيب هَيْكل مُشَرَّب مثل الغُراب أَرْجَلِ(٥٣٩)
أعْدَدْتُهُ لِحَلبات الأحول وكلِّ نفعٍ ثائرٍ لِجَحْفَلِ
وكلِّ خَطْبِ ذى شُئونٍ مُعْضلِ

فقال هشام : لكنَّا أعْدَدْنَا له ما يَسُوؤه ، نَخْلَعُه ونُقْصِيه ، فيكون مُهاناً مدْحوراً مُطَّرَحاً .

وحمل المسعودى أطرافاً من أخبار عناية الوليد بالخيل والسباق ، ومَنْ كان يَفدُ على حَلَباته من أشراف قريش ، وهى تشير إلى أنه قَلَّد هشاماً فى العناية بالخيل والسباق ، ولكنه لم يبلغ مبلغه ، إذ يقول المسعودى : « كان الوليد مُغْرًى بالخيل وحبها وجمعها ، وإقامة الحلبة . وكان السِّندىُّ فَرَسُهُ جَوادَ زمانه . وكان يسابق به فى أيام هشام ، وكان يُقَصِّرُ عن فرس هشام المعروف بالزائد ، وربما ضَامَّهُ ، وربما جاء مُصَلِّياً(٥٤٠) » وأجرى الوليد الخيل بالرصافة وأقام الحلبة ، وهى يومئذ ألف قارح ، ووقف بها ينتظر الذائد (٥٤١) ومعه سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص ، وكان له فيها جواد يقال له : المصباح ، فلما طلعت الخيل قال الوليد :

---

(٥٣٦) معجم الأدباء ، ٤ : ١١٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٨٨ .

(٥٣٧) الأغانى ٧ : ٦٤ .

(٥٣٨) الأغانى ٧ : ٦٥ .

(٥٣٩) الهيكل من الخيل : الكثيف العَبْلُ اللين ، والطويل عُلُوًّا وعَدْواً . والمشرب : الممزوج لونه بحمرة . والأرجل من الخيل : الذى فى إحدى رجليه بياض .

(٥٤٠) مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ .

(٥٤١) فى مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ : الزائد ، والصحيح الذَّائد ، كما فى نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام وأخبارها ص : ٤٤ ، ولسان العرب ٤ : ١٤٨ . والزائد فرس هشام .

خَيْلِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ المُحَرَّمَهْ سَبَقْنَ أَفْرَاسَ الرِّجالِ اللُّؤَمَهْ
كما سَبَقْنَاهُمْ وحُزْنَا المكْرُمَهْ
كذاك كُنَّا فى الدُّهور المُقْدَمَهْ أهلَ العُلاَ والرُّتَبِ المُعَظَّمَهْ

فاقبل فرس ابن الوليد – ويقال له : الوضاح – أمام الخيل ، فلما دنا صرع فارسه ، وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه ، وهو فيما يرى سعيد يُعَدُّ سابقاً ، فقال سعيد ، والوليد يسمع :

نَحْنُ سَبَقْنَا اليومَ خَيْلَ اللُّؤَمَه وصَرَفَ الله إلينَا المكْرُمَه

فضحك الوليد لما سمعه ، وخَشِيَ أن تَسْبق فرس سعيد ، فركض فرسه حتى سَاوَى الوضاح ، فقذف بنفسه عليه ، ودخل سابقا ، فكان الوليد أول من فعل ذلك ، وَسَنَّهُ فى الحَلْبَة»[٥٤٢] .

ويظهر أن الوليد كان شديد الاهتمام بالخيل ، وأنه كان يقيم السباق كثيراً ، مما يدل عليه قول المسعودى : « للوليد بن يزيد أخبار حسان فى جمعه الخيول فى الحلبة ، فإنه اجتمع له فى الحَلْبَة ألف قارح ، وجمع بين الفرس المعروف بالذائد والفرس المعروف بالسندى ، وكانا قد برزا فى الجرى على خيول زمانهما . وقد ذكر ذلك جماعة من الإخباريين وأصحاب التواريخ مثل ابن عفير ، والأصمعى ، وأبى عبيدة ، وجعفر بن سليمان . وقد أتينا على الغُرَرِ من أخباره فى أخبار الخيل والحلبات ، وخبر الفرس المعروف بالذائد ، والسندى ، وأشقر مروان ، وغير ذلك من أخبار من سلف من الأمويين ، ومن تأخر فى كتابنا المترجم بالأوسط »[٥٤٣] .

فالخلفاء الأمويون كلفوا بالخيل والسباق ، ولكن المروانيين منهم عشقوا الخيل واستكثروا منها ، وأفاضوا فى إقامة الحلبات لها ، لاستقرار حكمهم ، وكثرة ماأصابوا من الدعة ، وماأحرزوا من الثروة .

ولم يتخلف الوليد بن يزيد عنهم فى الاحتفال بالخيل والسباق ، فقد شابههم فيه ، فهو ابن عصرهم وطبقتهم ، وكان فيه فروسية بينة لم تتوفر لأحد منهم ، فهوى الخيل ، وكان ركوبها والسباق بها من رياضاته العنيفة المحببة ، إذ كان يدل بهما على قوته ، وتميزه من غيره فى فُتُوَّته .

---

(٥٤٢) مروج الذهب ٣ : ٢٣٠ .

(٥٤٣) مروج الذهب ٣ : ٢٣١ .

٦ - الوليد والصيد والتَّبدى

كان الصيد فى الجاهلية معاش الطبقة الفقيرة البائسة[٥٤٤]. واتخذه أبناء الطبقة الغنية وفتيان القبائل العربية وسيلة من وسائل المتعة والتسلية[٥٤٥]. واستمر الموسرون من الفرسان يميلون إليه، ويقطعون أوقات فراغهم به فى عصر بنى أمية، فكانوا يخرجون فى جماعات إلى الصحارى القريبة من مدنهم وقراهم لاصطياد الحيوانات الوحشية[٥٤٦].

وقد شغف الخلفاء الأمويون بالتَّبَدِّى، وهَوى بعضهم الصيد، وتَعَلَّق به أكثر أبناء الأشراف والسادة. إذ كانت لديهم الأموال التى يَسَّرَتْ لهم أسبابَ الصيد وسُبُلَه. وقصور البرارى والأرياف فى الشام وجنوبى الأردن خير شاهد على فرارهم من المدن الوبيئة الوخيمة[٥٤٧]، ونفورهم من حياتها الراكدة، وحبهم للبوادى، وإيثارهم لطبيعتها، ففيها كانوا يَشْتُون أو يَصيفون، وينالون حظوظهم من اللهو بعيداً عن الأعين والرقباء، وبها كانوا يمارسون هواياتهم ورياضاتهم المفضلة.

فنى أخبار معاوية أنه كان يشتو بِقَصْرٍ له بالصَّنَّبَرَة[٥٤٨]، على ثلاثة أميال إلى الجنوب الغربى من طبرية[٥٤٩]، وهى منطقة كانت صالحة للصيد[٥٥٠]. وكان ابنه يزيد مولعاً بالصيد ولعاً شديداً[٥٥١]. ونسب إليه مؤرخو الشيعة أخباراً عجيبة تُضَخِّم اقتناءه لكلاب الصيد، وتأنُّقَهُ فى رعايتها، حتى كان فيما يزعمون يُلْبِسُها الجِلالَ الثمينة، ويُقَلِّدُها الأطواق الذهبية، ويُقيمُ على كل واحد منها عبداً يتعهده[٥٥٢]! وكان مروان بن الحكم يتردد على الصَّنَّبرة[٥٥٣]، وفى بعض الروايات

(٥٤٤) العصر الجاهلى ص: ٧٩.

(٥٤٥) انظر ديوان امرئ القيس ص: ٣٦، ٤٦، ٧٥، ١٦٠، ١٧٢، ٢٦٨، وشرح ديوان زهير بن أبى سلمى ص: ١٣٠.

(٥٤٦) الأغانى ١٣: ٣٦١، والشعر والشعراء ص: ٦٠٦، والعصر الإسلامى ص: ١٩٧.

(٥٤٧) تاريخ الطبرى ٧: ٢٠٧، والكامل فى التاريخ ٥: ٢٦٣، ومآثر الإناقة فى معالم الخلافة ١: ١٥٠، والمختصر فى أخبار البشر ١: ٢٠٥.

(٥٤٨) معجم البلدان ٣: ٤١٩.

(٥٤٩) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص: ٤٤.

(٥٥٠) الحائر فى العمارة الأموية، مقالة للدكتور فواز طوقان بكتاب المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ص: ١١٧.

(٥٥١) تاريخ الطبرى ٥: ٣٠٢.

(٥٥٢) يزيد بن معاوية، الملك الشاعر، مقالة لجبرائيل جبور، بالجزء الثالث من مجلة الأبحاث بالجامعة الأمريكية ببيروت، لعام ١٩٦٥ ص: ٣٧٤.

(٥٥٣) أنساب الأشراف ٥: ١٤٩.

أنه مات بها[٥٥٤]. وكان عبد الملك بن مروان يتطوف فى بوادى الشام[٥٥٥].

وشيد الوليد بن عبد الملك قصر المُنْيَةِ على أنقاض بناء قديم فى الشمال الغربى من طبرية[٥٥٦]. وكان سليمان بن عبد الملك ينزل بدابق من أرض قنسرين . وبها توفى[٥٥٧]. وكان عمر بن عبد العزيز يرتاد خُنَاصِرة شرقىَّ المَعَرَّة على تخوم البادية[٥٥٨]. وفيها مات[٥٥٩] . .

ورمم يزيد بن عبد الملك قصرين من قصور الغساسنة فى بادية الأردن جنوبى عمان هما : قصر القَسْطَل[٥٦٠] وقصر المُوَقَّر[٥٦١] ، وكان يقيم فيهما طويلا ، ويصطاد بالمناطق المحيطة بهما . وأنفق هشام أموالاً كثيرة على القصور الصحراوية ، إذ أنشأ قصراً ضخماً بخربة المُفَجَّر شمالىَّ أريحا[٥٦٢] ، كان يَشْتُو به ، ويصطاد فى الأغوار الممتدة على جانبيه . وشيّد بالرصافة فى أيام ولايته للعهد قصر الزَّيْتُونة على بعد خمسة وثلاثين ميلاً غربى تدمر[٥٦٣]. وبنى بها فى خلافته قصر الرصافة ، على بعد ستين ميلاً شرقى تَدْمُر[٥٦٤].

وليس المهم فى القصرين فخامتهما وتعدد مبانيهما وروعة ما بهما من الزخارف والتصاوير ، وإنما المهم أنه ألحق بكل منهما حائراً جمع فيه الحيوانات الوحشية محافظة عليها ، وتوفيراً لها ، حتى تكون متيسرةً له حين يريد الصيد ، فلا يكلف نفسه مشقة البحث عنها ومطاردتها فى الصحراء[٥٦٥] ، إذ ضَمَّ إلى قصر الزيتونة رقعة مستطيلة الشكل مساحتها خمسمائة دونم ، وسَوَّرها بجدار من الطوب وأجرى إليها الماء ، وحشر فيها الحيوانات ، وجعل لها حراساً يراقبونها ويُعْنَوْنَ بها[٥٦٦]. وألحق بقصر الرصافة أرضاً واسعةً مساحتها خمسمائة وثمانية آلاف دونم ، وأحاطها بسور من الحجر يرتفع أكثر من

---

(٥٥٤) البداية والنهاية ٨ : ٢٦٠ .

(٥٥٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٢٥ .

(٥٥٦) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٤٦ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٦ .

(٥٥٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٤٦ .

(٥٥٨) معجم البلدان ٢ : ٤٧٣ .

(٥٥٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٥ .

(٥٦٠) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص : ١٠٠ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١٢٠ .

(٥٦١) معجم البدان ٤ : ٦٨٧ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٥ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢١٧ . والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٩ .

(٥٦٢) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٤٩ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٦ .

(٥٦٣) معجم البلدان ٢ : ٩٦٥ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ٧٦ .

(٥٦٤) معجم البلدان ٢ : ٧٨٥ ، وتاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٧ .

(٥٦٥) مرآة الجنان ١ : ٢٦١ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٥

(٥٦٦) الحائر فى العمارة الأموية ص : ٧٧ .

أربعة أمتار ، وسيَّر إليها الماء ، وحشد فيها غير قليل من الحيوانات ، وخَصَّص لها قَوَّامين يشرفون عليها[٥٦٧] .

وكان الوليد بن يزيد فَتِيًّا فُتُوَّةً ظاهرة ، فارساً فروسيةً نادرة ، كان طويل أصابع اليدين والرجلين ، كان يوتد له سكة حديد فيها خيط ، ويُشَدُّ الخيط فى رجله ، ويُوَتَّى بالدابة ، فَيَثِبُ عليها ، فينتزع السكة . ويركبُ ما يَمَسُّ الدابة بيده[٥٦٨] . وكان إذا جمع جَرَاميزَه (نفسه) ، ووثب من الأرض على ظهر فرسه كأنه لم يزل فوقه[٥٦٩] ! فأغرته إجادته لركوب الخيل ، وقوته البدنية بالصيد ، فأكثر التجوال فى بوادى الأردن ، وأنشأ بها بجانب ما ورثه من قصور أبيه كالقَسْطَل والمُوَقَّر قصوراً عديدةً منها ما هو موغل فى أعماق الصحراء كقصر أَيابر[٥٧٠] الذى كان يخرج إليه أيام الربيع ، وقصر الطوبة [٥٧١]. فى وادى الأغدف شمالىَّ العقبة ، ومنها ما يقع جنوبىَّ عمان كقصر المُشَّى[٥٧٢] على بعد ثلاثة أميال شرقى قرية زيزيا الحالية التى تعرف عند القدماء بزيراء[٥٧٣] وكان يتبدّى به أثناء ولايته للعهد ، وقصر عَمْرَة الذى يرجح أنه هو الذى بناه[٥٧٤] لا الوليد بن عبد الملك[٥٧٥]، وهو على مقربة من وادى البُطُم . وكان الوليدينزل بمنطقة الأزرق[٥٧٦] جنوبى عمان ، وبها آثار قلعة رومانية تعرف اليوم بقصر الحلاَّبات[٥٧٧] .

فى هذه البوادى الشاسعة المترامية من عمان إلى العقبة جنوباً ، وإلى حدود العراق والشام شمالاً أمضى الوليد كثيراً من أيام حياته فى ريعان شبابه ، وتأبَّد بها فى آخر ولايته للعهد ، ولم يُفارِقْها إلا بعد

---

(٥٦٧) الحائر فى العمارة الأموية ص : ٨١ .

(٥٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٣ . والبرصان والعرجان ص : ٢١٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦٠ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦١ .

(٥٦٩) البرصان والعرجان ص : ٢١٩ .

(٥٧٠) معجم البلدان ١ : ٤١٥ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٥ . وقد حَرَّف المحققون رسمه فى كتاب الأغانى ٢ : ٣٠٩ ، إذ سموه أبابين ، وتصويبه من معجم البلدان ، فقد ضبطه ياقوتضم الهمزة ، وكسر الياء الثانية .

(٥٧١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٥ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٥ .

(٥٧٢) تاريخ سورية ولبنان فلسطين ٢ : ١٢٤ ، والآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٢ ، والحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٨ .

(٥٧٣) معجم البلدان ٢ : ٩٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١٧ ، والعامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٨ .

(٥٧٤) الحائر فى العمارة الأموية ص : ١١٨ .

(٥٧٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١٢٣ .

(٥٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢١١ ، والأغانى ٢ : ٢٣٩ ، ٧ : ٨ . والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٥ .

(٥٧٧) الآثار الإسلامية فى فلسطين والأردن ص : ٢٠٨ . والحائر فى العمارة الأموية ص : ١٢٢ .

أن جاءه البشير بموت هشام ، ثم تَرَدَّدَ عليها مراراً بعد استخلافه وهى بوادٍ تجرى فيها الأودية والمياه فى فصل الشتاء والربيع ، فتتكاثف بها الأشجار والأعشاب وتمتلئ بالحيوانات الوحشية والطيور كالقطا والحَجل وغيرهما .

وفيها اشتغل الوليد بالصيد ، فكان ينطلق له من أحد قصوره الصحراوية ومعه رفاقه وخاصته من الشعراء والظرفاء والفرسان(٥٧٨) ، فكان يقضى اليوم فى تتبع الصيد ، وقد تمتد رحلته أياماً فتقصده الوفود فلاتجده(٥٧٩)

ويبدو أنه كان محباً صيد حمر الوحش ، لما كان يبعث فى نفسه من متعة ولذة ، فهو رياضته الشاقة المفضلة التى كان يَحتَمل قسوتها وأخطارها لما أوتى من شدة وبأس وشجاعة ، ولما تحقق له من حسن التدريب والتمرين . ففى أخباره أنه سُمِّى البيطار لأنه كان يصيد الحمر الوحشية ، فَيَسِمُها بالوليد ثم يُخَلِّيها ، فَوُجِدَت فى أيام أبى العباس السفاح والمنصور حمر موسومة باسمه »(٥٨٠) ومما يصور صبره وتقشفه وبداوته فى رحلاته البرية للصيد هذا الخبر الذى رواه المدائنى فقال : « خرج الوليد يَتَصَيد ومعه حسين بن عبيد بن برهمة الكلبى ، فانفردا عن الناس حتى انقطعا عنهم ، وتَعَالَى النهار ، وجاع الوليد ، فانتهى إلى قرية فرأى بها رجلاً جالساً فقال له : أعندك شىء نأكله ؟ قال : نعم ، وجاء بخبز شعير وزبيب أو زيت ، وكُرَّاثٍ ، فأكل الوليد ، وحسين بن عبيد الكلبى ، فقال الكلبى :

إنَّ مَنْ يُطْعِمُ الزَّبيبَ مَعَ الزَّيْـ ـتِ بخبزِ الشَّعيرِ والكُرَّاثِ
لَحَقِيقٌ بلَطْمةٍ أو بِثِنْتَيْـ ـنِ لقُبْحِ الصَّنيع أو بثلاثِ

فقال الوليد : ويحك ! إنما ينبغى أن تقول :

لحقيقٌ ببَدْرَةٍ أو بِثِنْتَيْـ ـنِ لِحُسْنِ الصَّنيع أو بِثَلاثِ

وأقاما حتى لحقهما الناس »(٥٨١) .

وفى أحيان أخرى كان يسأل بعض الشعراء الفرسان ممن كانوا يصاحبونه فى الصيد أن يصف فرسه وما صاد به من حمر الوحش ، إذ يقول عبد العظيم بن عبد الله بن يزيد بن ضبة مولى ثقيف : « خرج الوليد إلى الصيد ومعه جدى يزيد بن ضبة ، فاصطاد على فرسه السندى صيداً حسناً ، ولحق

---

(٥٧٨) الأغانى ٧ : ٦٩ .

(٥٧٩) الأغانى ٦ : ٩١ .

(٥٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٩ ، ٣٢٠

(٥٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٣٠٨ .

عليه حماراً فصَرَعه ، فقال لجدى : صف فرسى هذا ، وصيدنا اليوم ، فقال فى ذلك :

وأحْوَى سَلِسُ المَرْسِنِ مِثْلُ الصَّدَعِ الشَّعْبِ(٥٨٢)
إذا ما حَثَّه حَاثٌ يُبارى الرِّيحَ فى غَرْبِ(٥٨٣)
وَقَفَّاهُنَّ كالأَجْدَ ل لمّا انْضَمَّ لِلضَّرْبِ(٥٨٤)
وَوَالى الطَّعْنَ يَخْتَارُ جَواشِنَ بُدَّنٍ قُبِّ(٥٨٥)
تَرَى كُلَّ مُدِلٍّ قَا ئماً يَلْهَثُ كالكَلْبِ(٥٨٦)
كأَنَّ الدَّمَ فِى النَّحْرِ قَدالٌ عُلَّ بالخَضْبِ
يَزينُ الدَّارَ مَوْقُوفاً ويَشْفِى قَرَمَ الرَّكْبِ

فقال له الوليد : أحسنت يايزيد الوصف وأَجَدْتَه ، فاجعل لقصيدتك تَشْبِيباً وأَعْطِه الْغُزَيِّلَ رعمر الوادى حتى يُغَنِّيَا فيه »(٥٨٧)

وكان للوليد كلاب صَيْدٍ مُدَرَّبة ، كان يخرج بها للصيد ، ويُرْسِلُها على الظباء ، فتطاردها وتُقَيِّدُها ، وتعود إليه بها . وخرج يتصيد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً فأُتى به ، فقال : خَلُّوه ، فما رأيت أَشْبه منه جيداً وعَيْنَيْنِ بسلمى ، ثم أنشأ يقول(٥٨٨) :

ولقد صِدْنا غزالاً سَانحاً قد أَرَدْنَا ذَبْحَهُ لمَّا سَنَحْ
فإذا شِبْهُكِ مانُنْكِرُهُ حينَ أَرْخَى طَرْفَهُ ثمَّ لَمَحْ
فَتَرَكْنَاهُ ولولا حُبُّكُمْ فاعْلَمِى ذاكَ لقد كانَ ذُبِحْ
أنتَ ياظَبْيُ طليقٌ آمنُ فاغْدُ فى الغزلانِ مَسْرُوراً وَرُحْ

فأغلب الخلفاء الأمويين الذين سبقوا الوليد بن يزيد أحبوا البوادى والأرياف ، وقضوا فيها أوقاتاً طويلة ، وأنشأوا بها القصور والمنتجعات ، ولكن خلفاء القرن الأول كانوا أكثر اقتصاداً واعتدالاً ، فآثروا أن يحيوا فى قصورهم الصحراوية القليلة حياة طبيعية وزاولوا الصيد مزاولة بدوية ، أما خلفاء

---

(٥٨٢) المرسن : الانف . الصدع : الفتى الشاب القوى . والشعب : بفتح العين تباعد ما بين القرنين فهو وصف بالمصدر ، وسكن للضرورة .

(٥٨٣) غرب الفرس : حدته ونشاطه .

(٥٨٤) قَفَّاهن : تبعهن رطاردهن . والأجدل : الصقر .

(٥٨٥) الجواشن : الصدور . والبُدَّن : السُّمينة . والقب : ضامرات البطون .

(٥٨٦) المُدِلُّ : الجرىء .

(٥٨٧) الأغانى ٧ : ١٠٠ .

(٥٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٠ ، والأغانى ٧ : ٤٨ .

القرن الثانى كيزيد بن عبد الملك ، وهشام بن عبد الملك . ففارقوا حياة أسلافهم وخاصةً هشاماً فإنه أسرف فى البذخ ، فَمَدَّن وسائل اللَّهْو البدوية ، إذ نقل الصيد من صورته الصحراوية الخشنة إلى صورة حضرية ناعمة ، تُلاَئِمُ ما عرف من تَكَلُّفِه فى مسراته وهواياته وتَأَنُّقِه فى حياته ، وفرق بعيد بينه وبين الوليد ، فقد حبس هشام الحيوانات الوحشية فى حائر قصر الزيتونة والرصافة ، ثم جعل يَقْتَنِصُها بِتَرَفٍ كلما طاب له أن يشبع رغبته فى الصيد ، فى حين كان الوليد بسيطاً مع كثرة ما ابْتَنَى من القصور ، فمضى يُلاحِقُ الوَحْشَ فى الصَّحراء ، ويُغْرِى كلابه بالظباء .

٧ – الوليد والملاهى الأخرى

كان للوليد ثلاث هوايات أخرى ، أولاها المصارعة ، وهى لون من ألوان الرياضة الشاقة التى تعتمد على القوة الجسمية والدُّرْبَة الفنية . وقد كَلِفَ الوليد بها لما كان فيه من شدة وصلابة ، ومارسها ممارسةً كثيرةً متكررةً ، وكان يصارع الأبطال المشهورين من موالى الأمويين وأبناء الأشراف . وممن صارعه عمر الأزرق مولى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان صِرِّيعاً للوليد ، وفى تَحدِّى الوليد لعمر ، ومبارزته له ، وتَغَلُّبه عليه يقول المدائنى : «قال عمر : إنى لجالس يوماً على باب البيت الذى فيه الوليد وهو مصطبح ما عنده أحد إذ قال : يا عمر ، قلت : لَبَّيْكَ يا أميرَ المؤمنين ، قال : ويحك ! ما بَقِى منك ؟ قلت : أغلبُ الأسد ، ولا تُطِيقُنى الرجال ! فضحك وسكت ، ثم وثب عن سريره فاحتملنى على رأسه ، ثم ضرب بى الأرض ، فكاد يقتلنى ، ثم رجع إلى السرير ، واستَلْقَى فضحك . قلت : يا أمير المؤمنين ، اغْتَرَرْتَنى ، أَمَا لو أعلمتنى لعلمت ما أصنع [٥٨٩] » .

ومنهم رياح بن عثمان المرى [٥٩٠] ، لاعب الوليد فضربه بقضيب كان معه ، فقال : أوجعتنى يا أمير المؤمنين . وأخذ رياح القضيب منه فَضَربه ضربةً حَمَّرَتْ خَدَّه . فقال : «أَوْجَعْتَنى ويلك يا رياح [٥٩١] !

ومنهم محمد الحداد أرسل الوليد إليه فصارعه ، فاحتمله محمد فَوَضَعهُ على مَنْكِبَيْهِ ، ثم أتى به إلى

---

(٥٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(٥٩٠) أنظر ترجمته فى جمهرة أنساب العرب ص : ٢٥٤ .

(٥٩١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٤ .

المسرير فوضعه عليه ، فلطمه الوليد وضحك[٥٩٢] .

وأما الهواية الثانية فهى الشَّطَرَنْج . وهى لعبة شاعت بمكة ، وافتتح لها بعض الأغنياء نوادى كان يتردد عليها الهواة والمحترفون[٥٩٣] . وفى إتقان الوليد لها يقول ابن قتيبة : « خرج الوليد بن يزيد حَاجاً ومعه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج ، فاستأذن عليه رجل من ثقيف ، فأَذِنَ له ، وستر الشطرنج بمنديل ، فلما دخل سَلَّم ، فسأله حاجته ، فقال له الوليد : أَقَرَأْت القرآن ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين ، شغلتنى عنه أمور وهَنَات . قال : أفتَعْرِفُ الفقه ؟ قال : لا . قال : أَفَرَوْيت من الشعر شيئاً ؟ قال : لا . قال : أَفَعَلِمْتَ من أيام العرب شيئاً ؟ قال : لا . قال : فكشفَ المنديل عن الشطرنج وقال : شاهك ، فقال له عبد الله بن معاوية : يا أمير المؤمنين ! قال : اسكت ، فما معنا أحد[٥٩٤] ! » .

وأما الهواية الثالثة فهى رياضة الصَوْلجان ، وهى لعبة فارسية ، فالصَّوْلَج والصَّوْلجَان والصولجانة العود المعوج ، فارسى معرب ، والجمع صَوَالجة ، والصولجان عصا يُعْطَفُ طرفها يضرب بها الكرة[٥٩٥] . ويبدو أن الوليد كان مشغوفاً بها . فأجادها وأنشأ ملعباً لها ، إذ يروى المدائنى أنه كان يلعب بالصولجة فى ملعب له[٥٩٦] .

تلك هى ملاهى الوليد ، وهى مما شاع فى عصره ، وعكف عليه الناس فى البيئات المختلفة ، وانغمس فيه الخلفاء الأمويون انغماساً مطرداً . وإقباله عليها لا يخالف إقبال أترابه من الأمراء ، وأنداده من الخلفاء المروانيين المتأخرين عليها إلا قليلا . وأغلب الأخبار التى تميزه منهم ، وتظهره مسرفاً متطرفاً متهوراً عابثاً فى لهوه إنما هى محرفة مهولة أو مدسوسة مفتعلة .

---

(٥٩٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٥ .

(٥٩٣) الأغانى ٤ : ٢٥٣ .

(٥٩٤) عيون الأخبار ٢ : ١٢٠ . روى ابن قتيبة الخبردون إسناد ، ورواه البلاذر عن العمرى عن الهيثم بن عدى ، ولكنه نسبة إلى هشام بن عبد الملك ، إذ يقول « كان هشام يلاعب الأبرش (الكلبى) الشطرنج ، وقد أشرف هشام على أن يغلب الأبرش ، فاستأذن الحاجب لرجل من بنى مخزوم من أخواله ، فأمر بإدخاله ، وغُطِّيت الشطرنج بمنديل ، فلما دخل المخزومى سَلَّم وجَلَس ، فقال له هشام : يا خال ، أتقرأ كتاب الله ؟ قال : ما أقرأ منه إلاّ ما يقيم صلاتى . قال : أَفَتَرْوى من الآثار شيئا ؟ قال : لا . قال : أفتعرف من أحاديث العرب وأشعارها وأيامها ما يعرفه مثلك ؟ قال : لا . قال : أَفَتَنْسِبُ قريشاً وسائر بنى مزار ؟ قال : لا أحسن من النسب شيئاً . قال : يا غلام ، ارفع المنديل ، فليس من خالنا حِشمَة ، وأخذنى لعبه » . (أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٠) .

والهيثم بن عدى غير مُدَقِّق فى رواية الأخبار .

(٥٩٥) لسان العرب ٣ : ١٣٥ .

(٥٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ .